شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَمُخْتَارَاتٌ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ

رقم الايـــداع
٢٠٠٣ / ٩٧٠٧

الترقيم الدولي - - - I.S.B.N.

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدمًا

المكتب المصرى الحديث

www.almaktabalmasry.com
Email: may @gmail.com

القـاهـــــرة: ٢ شارع شريف عمـــــارة اللـــــواء ت : ٢٣٩٣٤١٢٧
الإسكندريـــة: ٧ شـارع نوبـــار المنشيـــــــة ت : ٤٨٤٦٦٠٢

شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَمُخْتَارَاتٌ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ

مُحَمَّد كَامِل عَبْد الرَّحِيم

المكتب المصري الحديث

نموذج رقم « ١٧ »

AL - AZHAR AL-SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهـــر الشريف
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العـامـة
للبحـوث والتاليف والترجمـة

٢١٠٩

السـيد / محمد كامل عبد الرحيم

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : بشائر القلوب بآيات محكمات من القرآن الكريم تاليف كم .....

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـه ونشره على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـاكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والاحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

تحريرا فى ٩ / ٢ / ١٤٢٤ هـ
الموافق ٩ / ٢ / ٢٠٠٣ م

مدير عـام
ادارة البحوث والتـاليف والترجمـة

إهداء

إلى كُلّ مَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإسْلَامِ

إلى كُلّ مَنْ شَغَلَهُ صِرَاعُ وَضَجِيجُ هَذِهِ الحَيَاةِ

أُقَدِّمُ هَذَا الكِتَابَ حَتَّى لَا نَكُونَ كَالَّذِينَ

نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ .

«مستهل الطبعة الرابعة»

شرع والدي في تأليف هذا الكتاب عندما استقال من عمله كسفيرا بوزارة الخارجية عام ١٩٥٤م ، وكانت الطبعتان الأولى والثانية على ورق متواضع ، وكانتا يحتويان على كثير من الأخطاء المطبعية .

وفي عام عام ٢٠٠٣م قمتُ بإصدار طبعة جديدة بأساليب الطباعة الحديثة من حيث الطباعة ، وكتابة الآيات القرآنية بالخط العثماني ، وكذلك تم بمراجعة الكتاب بمعرفة علماء الأزهر الشريف بمجمع البحوث الاسلامية، و تمت موافقتهم على إصدار التصريح بالطبع والنشر والتوزيع .

ويوزع الكتاب بعائد رمزي أو مجاناً على روح والدي المؤلف

راجيه الدعاء له بواسع الرحمة والمغفرة

أسكنه الله فسيح جناته

مهندس/ محمود كامل عبد الرحيم

رجب ١٤٣٩هـ - مارس ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين

«مستهل»

ليس هذا الكتاب بحثًا في الدين الحنيف ، ولا هو رسالة في الفقه الإسلامي ، إن هو إلا آيات بينات من القرآن العظيم ، ومختارات من أحاديث الرسول الكريم في الإيمان والفرائض ، وفي أهم ما يواجه الناس كل يوم من مشاكل الحياة ، وكيف حل الإسلام هذه المشاكل حلًا يملأ القلب إيمانًا وطمأنينة ، وينير الطريق إلى الحياة الفاضلة السعيدة والصفات الخلقية السامية ، جمعتها وبوبتها طبقًا للحروف الهجائية طبقًا للمواضيع حتى يسهل الرجوع إليها ، ابتغاء وجه الله الكريم ورضاه وخدمة لدينه الحنيف .

وقد قسمته إلى ثلاثة أبواب رئيسية :

الباب الأول : عن الإيمان والفرائض وفيه خمسة فصول :

الأول : عن الله جل جلاله .

والثاني : عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

والثالث : عن القرآن الكريم .

والرابع : عن الحديث الشريف .

والخامس : عن الفرائض : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

ولم أتوسع في التعليق على الآيات والأحاديث ، فخير الكلام وأبلغه كلام الله تعالى وحديث نبيه الكريم .

والباب الثاني عن : أهم ما يواجه الناس من مشاكل الحياة ، وفيه ثلاث وثلاثون مادة .

والباب الثالث عن : صفات الإنسان وفيه خمسة فصول :

الأول : عن الفطرة ، **والثاني** : عن صفات الغافلين ، **والثالث** : عن صفات المنافقين ، **والرابع** : عن صفات الكافرين ، **والخامس** : عن صفات المؤمنين .

وبالملحق فهرسان :

الأول : فهرس أبجدي للمواد .

والثاني : فهرس لأسماء الله الحسنى ولصفات المؤمنين .

وفي كل مادة من مواد الكتاب بدأت بذكر آيات من القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع ، مبينًا اسم السورة ، يليه رقم الآية ثم الأحاديث النبوية الشريفة مبينًا اسم من أخرج الحديث ومن رواه ، وقد قام بتخريج الأحاديث وتحقيقها صاحب الفضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد مدرس الحديث الشريف بالأزهر ، فله مني أخلص الشكر ، ومن الله أحسن الجزاء .

ولم أكثر من إيراد الآيات والأحاديث ، بل اجتزأت بذكر بعضها بما فيه الكفاية ، وذكرت أرقام بعض الآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع لمن أراد الاستزادة ، وبأسفل الصفحات أيضًا تفسير لمعاني الألفاظ .

كتبته لمن شغلتهم الدنيا وضجيجها ومادتها عن التفكير في ديننا الحنيف والسير على نوره وهداه ، لعل فيه ما يوقظ الشعور الديني ، ويذكي الإيمان في القلوب ، ويهدي إلى حياة أفضل وأسعد .

أقدمه إلى : السابح في لجة الحياة لا يرى بر السلامة .

إلى : السائر في طريقها الوعر الطويل لا يعرف له ملجأ .

إلى : الغارق في ظلمات الليل لا يرى نجمًا هاديًا .

إلى : الراحل في سفر طويل من غير زاد ولا ماء .

أقدم هذه الآيات البينات زادًا وهدى وسراجًا منيرًا تهديك إلى بر السلامة وتؤنسك في طريق الحياة الوعر ، وتنير لك دجى الليل الطويل ، حتى لا نكون : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

أسأل الله لي ولك الهدايــة

محمد كامل عبد الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف و وفاء

وبعـــــــد :

فهذه نفحات مرسلات من محكم الآيات ، ومن حكم النبوات ، ونظر ثاقب ، في تحديد صادق لقواعد الإسلام ، ودراسة واعية لآفات المجتمعات ، وطب إلهي وقائي يحفظ النفوس ، ويصون السلوك ، واستيعاب شامل لما حوته سور القرآن من صفات مبدع الوجود ، فاطر السماوات والأرض ، وإطلاع واسع على مناهج السنة المحمدية ، وما حوته من صحاح السير .

كل ذلك يعرض وهو سهل التناول ، قريب المأخذ ، فإذا ما أقبل عليه الشباب الناهض في قوة وعزم وأناة وصبر ، فلن يساوره في حياته قلق ، ولن تعبث به أوهام .

وها هي النفس «الكاملة» ، الراضية المطمئنة ، قد فكرت وتروت وأمعنت ، فوصلت إلى الحق الصراح ، واستوحت الفطرة السليمة ، فبلغت معالم الهداية ، واهتدت إلى منابعه الطمأنينة ، وتلك النتيجة هي ما يحوم حولها الفلاسفة والباحثون والمفكرون .

ولقد أتيح لي أن أتصل بالمؤلف عليه رحمة الله منذ ثلاثين عامًا ، فعملنا معًا برئاسة الوزراء ، بمكتب الخالد الذكر ، الطيب الأثر : «محمد باشا محمود الرئيس الأسبق» ، فكنت أشرف على الشؤون الدينية ، والمؤلف يشرف على الشؤون السياسية .

وأشهد لقد رأيته وعرفته وهو في ميعة الشباب وعنفوان العمر فإذا صورة كاملة لهدوء الطبع ، وكرم الخلق ، وأدب الحديث ، وطول الأناة ، وعمق النظر .

وإن هذه الأبحاث لتدل على جهد جهيد ، ونزعات خيرات ، واستيعاب وتتبع ، وتحديد للمراد من كتاب الله ، وسنة رسوله ، وصدق السير ، فجزاه الله الجزاء الأوفى ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

وسلامٌ على المؤلف مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا .

محمد عبد الرحمن الجديلي

وكيل وزارة الشؤون الدينية

برئاسة الوزراء «سابقًا»

الباب الأول
الإيمـــان و الفرائض
الفصل الأول
الله جل جلاله

١ـ الإيمان عند المسلمين :

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية تسعة وتسعون اسمًا للذات العلية ، يدل كل منها على صفة من صفاته جل جلاله ، وصفاته تعالى ليست كصفات البشر ، قال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣] .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] .

«وهو تعالى يسمو فوق كل تصور مادي أو حسي ، فهو كما قال أحد أوائل الصوفية : «هناك حقيقة عن كنه الله يعرفها الرجل العادي ، وأخرى يعرفها المقربون ، وثالثة يعرفها الملهمون والأنبياء ، ورابعة يعرفها الله تعالى» .

وبمعنى آخر : فإن هناك مجالًا واسعًا لمعرفة الله تعالى يتفاوت بتفاوت درجات الصلاح ، فالزاوية التي يرى الناس منها الله جل جلاله تختلف طبقًا لحالاتهم ولكن المنظور واحد لا يتغير .

والمسلم لا يتصور الله الذات الإلهية بالصور والتماثيل كما تصوره بعض الأديان الأخرى ، ولكن يتصوره بصفاته التسع والتسعين التي سنأتي على بيانها مفصلًا فيما بعد .

ثلاث من هذه الصفات الإلهية لها أهمية خاصة ؛ لأن منها تنبع وتتفرع الصفات الأخرى ، هذه الصفات الثلاث هي : «الواحد ، الرحمن ، الرحيم» ، والاسمان الأخيران وردا في القرآن أكثر من غيرهما ، فالرحمن ورد (١٧١) «مائة وإحدى وسبعون مرة» ، والرحيم ورد (٢٠٩) «مائتان وتسع مرات» ، ويتصدران كل سورة من سور القرآن في البسملة ، وهذا للتأكيد بأن صفة حب الله لعباده ورحمته بهم هي الصفة الغالبة في صفاته الحسنى ، فيقول الله تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:٥٤] .

ويخاطب رسوله الكريم بقوله : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [الأنعام:١٤٧] .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

ووحدانيته جل جلاله وتفرده بالخلق والتدبير والتصرف هي الأساس الأول للإسلام ، وهي الرسالة الأولى والأساسية التي أوحى بها الله إلى رسله منذ الأزل .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥] .

ولهذا كان الركن الأول من أركان الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

ولقد أضفى القرآن الكريم على مبدأ وحدانية الله جلالًا وسموًا ، وألقى عليه ضوءًا جديدًا لامعًا ، وقد تحددت هذه الصفة الكريمة بجلاء وقوة في سورة الإخلاص ، وهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

ووحدانية الله تعالى ليست قاعدة دينية فحسب ، بل هي مبدأ تقوم عليه سعادة الإنسان الروحية وعمار العالم وتقدمه ، فالقرآن الكريم يعلمنا أن الإيمان بالله ووحدانيته هو عقيدة وعمل ، ولا يتم الإيمان بوحدانية الله إلا بالعمل الصالح ، ولهذا فإننا نجد كلمة الإيمان مقرونة غالبًا في القرآن الكريم بالعمل الصالح : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، هي آية كريمة تتردد مرارًا وتكرارًا في كتاب الله الكريم كأول صفة يجب أن يتصف بها المؤمن ، والسبب واضح جَلِيٌّ فإن الاعتقاد في أي مبدأ لن يكون له معنى ؛ إلا إذا اقترن بالعمل الصالح .

والإيمان بالله ووحدانيته وتفرده تعالى بالخلق والتدبير والتصرف يحرر الإنسان وعقله من رق العبودية لأي مخلوق من عبيد الله ، ويضفي عليه كرامة وعزة ويضع الأساس الأول للمساواة بين الناس وبين الأمم ، ذلك أن الإنسان إذا أشرك بالله مخلوقًا من مخلوقاته تعالى أو عبد الأصنام أو عناصر الطبيعة التي خلقها الله تعالى

بقدرته وصرفها بمشيئته ، فقد أهدر إنسانيته وكرامته ، وأصبح غير أهل للمصير الرفيع الذي أعده الله له بأن يكون خليفته في أرضه .

والاعتقاد بوحدانية الله يحمل بين طياته وحدة البشرية جمعاء ، فالله تعالى ليس ربًا لقبيلة أو أمة معينة ، بل هو رب العالمين ، كما جاء في أول آية من سورة فاتحة الكتاب .

والبشر جميعًا على اختلاف لغاتهم وأديانهم وجنسياتهم يجمعهم رب واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم بعباده ، فتأمل قوله تعالى مخاطبًا أهل الكتاب :

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة:١٣٩] .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

[العنكبوت:٤٦] .

أهناك رسالة إنسانية أبلغ وأسمى مما تنطوي عليه وحدانية الله ؟

قد يختلف الناس والأمم ، بل ويشتد النزاع بينهم ويقاتل بعضهم بعضًا ولكنهم كلهم سواسية يجمعهم رب واحد أحد : لا إله إلا هو .

١ـ أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم

النصوص القرآنية (١ـ١٤) :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر:٢٢ـ٢٤] .

وهو الخالق (١٥) :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩] .

وهو الغفار (١٦) :

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢] .

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [ص:٦٦] .

وهو غافر وقابل التوب (١٧) :

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر:١ـ٣] .

وهو الواحد القهار الوهاب (١٨ـ١٩) :

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الرعد:١٦] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨] .

وهو الرزاق القوي المتين (٢٠ـ٢٢) :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨] .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود:٦٦] .

وهو الفتاح (٢٣) :

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ:٢٦] .

وهو القابض الباسط (٢٤ـ٢٥) :

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٥] .

﴿ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [سبأ:٣٦] .

وهو الخافض الرافع (٢٦ـ٢٧) :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الرعد:٢] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٦٥] (١) .

وهو مالك الملك المعز المذل (٢٨ـ٣٠) :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦] .

وهو السميع البصير (٣٠ـ٣٢) :

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ:١١] (٢) .

وهو الحكم العدل (٣٣ـ٣٤) :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام:١١٤، ١١٥] (٣) .

وهو اللطيف الخبير (٣٥ـ٣٦) :

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورىٰ:١٩] .

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨] .

---

(١) خلائف : خلفاء الله في الأرض . ليبلوكم : ليمتحنكم .

(٢) فاطر : خالق .

(٣) الممترين : الشاكّين ، من امترىٰ أي : شك .

وهو الشكور الحليم (٣٧ـ٣٨) :

﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١٧] .

وهو الحي القيوم العلي العظيم (٣٩ـ٤٢) :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] (١) .

وهو الغفور (٤٣) :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧] .

وهو الحفيظ (٤٤) :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود:٥٧] .

وهو المقيت (٤٥) :

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥] (٢) .

وهو الحسيب (٤٦) :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٨٦] .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦١، ٦٢] .

---

(١) كرسيه : ملكه ، ولا يؤوده : لا شيق عليه .

(٢) مقيتًا : مقتدرًا .

وهو الجليل الباقي ذو الجلال والإكرام (٤٧ـ٤٩) :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] .

وهو الغني الكريم (٥٠ ٥١) :

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٤٠] .

وهو الرقيب (٥٢) :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

وهو القريب المجيب (٥٣) :

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود:٦١] .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وهو الواسع (٥٤) :

﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٤٧] .

وهو المبدئ المعيد الودود (٥٥ ٥٧) :

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج:١٢ـ١٦] (١) .

وهو الحميد المجيد الماجد (٥٨ ٥٩) :

﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود:٧٣] .

---

(١) يبدئ : يبدأ خلق الكائنات ، يعيد : يبعثها ليثيبها أو يعاقبها .

وهو الحق الباعث (٦٠ ٦١) :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج:٦، ٧] .

وهو المحصي الشهيد (٦٢ـ٦٣) :

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:٦] .

وهو الوكيل (٦٤) :

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

وهو الولي الحميد (٦٥ ٦٦) :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٣٨] .

وهو الواجد المغني (٦٧ـ٦٨) :

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١ـ ١١] .

وهو الهادي (٦٩) :

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨ـ ٨٢] .

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١] .

وهو الصمد (٧٠) :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١ـ ٤] .

وهو القادر (٧١) :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٦٥] (١) .

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة:٣، ٤] (٢) .

وهو المقتدر (٧٢) :

﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٤٢] .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف:٤٥] (٣) .

وهو المقدم المؤخر (٧٣ـ٧٤) :

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة:٨٨ـ ٩١] (٤) .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:٤٤] (٥) .

وهو المحيي المميت وهو الأول والآخر والظاهر والباطن (٧٥ـ٨٠) :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:١ـ ٤] (٦) .

---

(١) يلبسكم شيعًا : يفرقكم أحزابًا متنابذة .

(٢) نسوي بنانه : نعيده إلى حالته الأولى حتى أطراف أصابعه قادر على أن يعيدها كما كانت ، وأطراف الأصابع أدق أعضاء الجسم لاستحالة تشابه بصمتي بنانين .

(٣) هشيماً : مفتتًا .

(٤) روح وريحان : راحة وسعادة ، المقدم والمؤخر : الذي يقرب ويبعد من قرَّبه فقد قدمه ومن أبعده فقد أخره ، وقدَّم الله أولياءه بتقربهم إليه وهدايتهم وأخَّر أعداه بإبعادهم عنه وضرب الحجاب بينهم وبينه .

(٥) تترا : متتابعين .

(٦) يلج : يدخل .

وهو الوالي (٨١) :

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف:٤٤] .

وهو الكبير المتعال (٨٢ ٨٣) :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩] .

وهو البر الرحيم (٨٤) :

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٦-٢٨] (١) .

وهو التواب (٨٥) :

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر:٣] (٢) .

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٨] .

وهو المنتقم (٨٦) :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران:٤] .

وهو العفو (٨٧) :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج:٦٠] .

﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩] .

وهو الرءوف (٨٨) :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد:٩] .

---

(١) البر : المحسن .

(٢) مناسكنا : جمع نسك وهو العبادة .

وهو المقسط (٨٩) :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] (١) .

وهو الجامع (٩٠) :

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام:٣٥] .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ ﴾ [التغابن:٩] (٢) .

وهو المانع (٩١) :

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ ﴾ [الإسراء:٥٩] .

وهو الضار النافع (٩٢ـ٩٣) :

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح:١١] .

وهو النور (٩٤) :

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٣٥] (٣) .

وهو البديع (٩٥) :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧] .

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٠١] .

وهو الوارث (٩٦) :

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر:٢٣] .

---

(١) قائماً بالقسط : مقيماً للعدل بين خلقه .

(٢) يوم التغابن : يوم الحساب .

(٣) كمشكاة : كُوَّة أو فتحة من الداخل في حائط ، زيتونة : شجرة الزيتون .

وهو الرشيد (٩٧) :

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧] .

وهو العليم (٩٨) :

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] (١) .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة:٧] .

وهو الصبور (٩٩) (٢) :

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾

[الحج:٤٨] .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢] (٣) .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨] (٤) .

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٢، ١٨٣] .

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس:١١] .

«جل جلاله وتقدست أسماؤه» .

---

(١) مفاتح : جمع مفتح أي المفتاح .

(٢) (٩١/ ٩٤) لم يرد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى بلفظه في القرآن الكريم وإنما ورد ما يدل عليه ، والإمام الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» ، يقول : «الصبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل فقبل أوانه بل ينزل الأمور بقدر معلوم ، ويجريها على سنن محدودة لا يؤخرها عن آجالها المقدرة لها» .

(٣) تشخص : تفتح عيونهم هولاً وفزعًا .

(٤) نملي لهم : نؤخرهم .

٢ ـ أسماء الله الحسنى في الحديث الشريف

وجاء في الحديث الشريف :

١ ـ «إن لله ﷻ تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها [١] دخل الجنة» :

هو الله لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور .

٢ ـ لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه [٢] .

٣ ـ ما أحد أو ليس شيء أصبر على أذىً سمعه ، من الله ، إنهم ليدعون له ولدًا وإنه ليعافيهم ويرزقهم [٣] .

كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو بالليل بقوله :

٤ ـ «اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ، لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، قولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك

---

(١) الترمذي عن أبي هريرة ، أحصاها : حفظها وفهمها .

(٢) البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود .

(٣) أبو موسى الأشعري .

حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله إلا أنت» [١] .

٥ـ وكان أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام على سفر معه وكانوا إذا علوا كبروا بصوت عالٍ فقال لهم : **«أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إنك تدَّعون سميعًا بصيرًا وهو معكم»** [٢] .

٦ـ وكان النبي ﷺ يقول عند الكرب :

«لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم» [٣] .

«لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم» [٤] .

٧ـ وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى :

«أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا» [٥] .

٨ـ ويقول الله تعالى : **«إن رحمتي وسعت غضبي»** [٦] .

---

(١) الستة بألفاظ متقاربة عن ابن عباس .

(٢) الخمسة إلا النسائي عن أبي موسى الأشعري ، **اربعوا** : ارفقوا .

(٣) البخاري ومسلم عن ابن عباس .

(٤) البخاري ومسلم عن ابن عباس .

(٥) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٦) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

٣ـ التفكير في آيات الله

واعلم أن إمعان الفكر في فهم أسماء الله الحسنى ومعرفة أسرارها يجب أن يكون مقرونًا بالتدبر في آيات الله وإمعان النظر في عظيم خلقه وقدرته .

فالتفكير في آيات الله من صفات المؤمنين ذوي الألباب الذي يصفهم الله بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩٠، ١٩١] .

وذكرنا الله سُبحانه وتعالى بآياته التي نمر عليها لاهين معرضين فيقول :

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥] .

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١] .

ويبين لنا الحق : أن القرآن الكريم وما نزل به من آيات بينات ، لو نزلت على الجبل لخشع وتصدع من خشية الله ، فما بال الإنسان لا يخشع قلبه لذكر الله فيقول الله تعالى :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١] .

ويأمرنا الله تعالى بالتفكير في آياته لنزداد إيمانًا ويقينًا فيقول تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:٢ـ ٤] (١) .

(١) مد الأرض : بسطها ، رواسي : جبالاً ، يغشي الليل النهار : يلبس الليل النهار فيجعله مضيئًا بعد أن كان مظلمًا ، صنوان : الفرع الخارج من أصل الشجرة .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل:١٠ـ١٢](١) .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم:٢١، ٢٢] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾

[الروم:٢٣ـ ٢٥](٢)

---

(١) تسيمون : ترعون ماشيتكم .

(٢) ابتغاؤكم : سعيكم لطلب الرزق ، تقوم السماء والأرض بأمره : يدبر أمرها واقرأ أيضًا : يونس ٢٤ ، الجاثية ١٢، ١٣ .

أ ـ فتأمل في خلق الإنسان

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١ـ ٤] .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٢ـ ١٦] (١) .

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس:١٧ـ ٣٢] (٢) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦ـ ٨] (٣) .

ب ـ وتأمل في خلق الحشرات والدواب :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:٧١ـ ٧٣] .

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥] .

---

(١) سلالة : خلاصة ، نطفة : ماء الرجل ، قرار مكين : الرحم ، علقة : دمًا متجمدًا ، مضغة : قطعة لحم بقدر ما يمضغ الإنسان .

(٢) أقبره : أماته ، أنشره : بعثه ، يقض ما أمره : لم ينفذ ما أمره الله به ، صببنا الماء صبًا : من السحب ، قضبًا : نباتات تقضب أي تقطع مرة بعد مرة كالبرسيم ، حدائق غلبًا : ذات أشجار ضخمة ، أبًا : مرعى .

(٣) واقرأ أيضًا : النساء (١) ، الحجر (٢٨) ، الروم (٢٠، ٢١) ، السجدة (٧ـ ٩) ، الحجرات (١٣) ، الذاريات (٢٠) ، الرحمن (١، ٤، ١٤، ١٨) ، الواقعة (٥٧ -٦٢) ، المرسلات (٢٠ -٢٣) .

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٦٨، ٦٩] (١) .

ج ـ ثم تأمل في خلق السماوات والأرض والنبات :

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات:٢٠ـ ٢٢] .

﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:١٥ـ ١٧] (٢) .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزخرف:٩ـ ١١] .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق:٦ـ ١١] (٣) .

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك:١ـ ٥] (٤) .

---

(١) يعرشون : يبنون ، ذللاً : ممهدة ، واقرأ أيضًا : الأنعام (١٤٢) ، النحل (٥ـ ٩) ، الحج (٢١ ـ ٢٣) ، غافر (٧٩ ـ ٨٠) ، الزخرف (١٣) ، عبس (١٧) .

(٢) رواسي : جبال .

(٣) فروج : خلل ، حب الحصيد : الحب الذي يحصد كالقمح ، باسقات : طوال ، طلع نضيد : ثمره منظم بعضه فوق بعض .

(٤) طباقًا : طبقات بعضها فوق بعض ، تفاوت : عدم التناسب ، فطور : شقوق ، كرتين : مرتين ، خاسئًا =

د ـ القسم بآيات الله :

وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم إذا أراد الله تعالىٰ أن يهدينا إلىٰ حقيقة هامة من حقائق الحياة يبدأ بتوجيه النظر إلىٰ آيات خلقه مقسمًا بها ، فإذا أراد هدايتنا إلىٰ أن من زكىٰ نفسه بالفضائل وطهرها لطاعة الله فقد أفلح ، ومن لوثها بالرذائل وبما يغضب الله فقد خاب .

يقسم بآياته العظمىٰ في خلق الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض ، فيقول جل جلاله :

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١ـ١٠] (١) .

وإذا أراد سبحانه وتعالىٰ أن ينبهنا إلىٰ عظمة القرآن يقسم بالنجوم ومواقعها فيقول :

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٥ـ٨٠] (٢) .

وإذا أراد الله أن يهدينا إلىٰ الإيمان والتقوىٰ والبذل في سبيله يقول الله تعالىٰ :

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل:١ـ١١] (٣) .

= وهو حسير : مخذولًا كليلًا دون العثور علىٰ خلل في خلق السماوات والأرض ، واقرأ أيضًا : الأنعام (٩٦، ٩٧) ، الرعد (٤) ، إبراهيم (٢٣) ، الأنبياء (١٦، ٢٩، ٣٦، ٦٠ـ ٦٤، ٧٠) ، المؤمنون (١٧، ٨٤–٨٨) ، الشعراء (٤٤) ، الرحمن (٧ـ٩، ٣٣ـ٣٦) ، نوح (١٦) ، التكوير (١٣) ، عبس (٢٤ـ ٣٢) ، الأعلىٰ (٤، ٥) .

(١) **وضحاها** : وضوئها ، جلاَّها : أظهر ضوءها ، **يغشاها** : يغطي ضوءها ، **طحاها** : يبسطها ، **سواها** : خلقها ، **زكاها** : طهرها ، **دساها** : أخفاها .

(٢) **مكنون** : مصون .

(٣) **يغشى** : يغطي النهار ، **لليسرى** : للخلة التي تؤدي لليسر والسعادة ، والعسرىٰ عكسها ، واقرأ أيضًا في هذا المعنىٰ : الذاريات (٧٤) ، المعارج (٤٠) ، المدثر (٣٢ –٣٤) ، المرسلات (١ـ٥) ، التكوير (١٥– ١٨) ، الانشقاق (٦–١٨) ، البروج (١ـ٣) ، الطارق (١، ١٢) ، الفجر (١– ٥) .

هـ ـ الاستشهاد بآيات الله

وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم استشهاد بآيات الله العظمى على وجوده وقدرته وملكوته ووحدانيته ، فإذا وجه القرآن الخطاب للكافرين قدم لذلك بذكر آيات خلق الله :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣١، ٣٢] .

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٥٩ـ ٦٤] (١) .

---

(١) يعدلون : يميلون عن الحق إلى الباطل ، قرارًا : مكانًا يستقرون فيه ، واقرأ أيضًا : الزمر (٣٨ - ٤٠) ، الأحقاف (١ـ ٤) .

ك ـ كيف هدى الله سيدنا إبراهيم للإيمان به ولوحدانيته ؟

وتأمل كيف هدىٰ الله سيدنا إبراهيم عليه السلام إلىٰ الإسلام والإيمان بالله وأنه واحد أحد يدبر أمر هذا الكون ، وكيف وصل بالدليل العقلي وبالتأمل في ملكوت السموات والأرض إلىٰ هذه الحقيقة التي رفعه الله بها إلىٰ أرقىٰ درجات السمو الروحاني ، فيقول الله تعالىٰ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٥ـ٧٩] (١) .

(١) أفل : غاب ، بازغًا : مبتدئًا في الطلوع ، فطر : خلق ، واقرأ أيضًا : البقرة (٢٥٨) ، مريم (٤١ – ٥٠) .

الفصل الثاني

سيدنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام

مقدمة موجزة عن حياته الكريمة :

في ١١ ربيع الأول (٢٩ أغسطس ٥٧٠م) ، أشرق العالم بنور مولود اسمه «محمد» لسيد من سادة قريش هو : عبد الله بن عبد المطلب ، ولسيدة كريمة هي : آمنة بنت وهب من قبيلة بني النجار بالمدينة .

وعبد الله والد الرسول عليه الصلاة والسلام هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، كبير سادة قريش وسادن الكعبة المقدسة ، وقبيلة قريش هي أشرف القبائل العربية في الحجاز ، وكان سادة قريش حكام مكة وما جاورها يحترفون التجارة ولهذا كانوا يجوبون أنحاء الجزيرة العربية للبيع والشراء .

وفي إحدى رحلاته التجارية توفي عبد الله والد الرسول وله من العمر خمسة وعشرون عامًا ، وبعد وفاته بأيام قلائل ، ولد محمد عليه الصلاة والسلام ، وبعد ولادته سُلِّم إلى مرضعة بدوية هي السيدة حليمة السعدية ليعيش مع قبيلتها بني سعد في قلب الصحراء ، كما تقضي به وقتئذٍ العادة العربية لأولاد الأشراف وذلك ليشبوا على الشجاعة والفروسية والصبر على شظف الحياة ، وفي سن السادسة أعيد محمد إلى أمه التي أشرفت بنفسها على رعايته وتربيته ، وبعد أشهر قليلة من وصوله ماتت أمه وتركته يتيم الأبوين ، فتولى رعايته جده عبد المطلب .

وفي سن الثامنة ابتلي محمد بوفاة جده أيضًا ، فقام على العناية به عمه أبو طالب .

وقضى أيام شبابه في بيت عمه ساهرًا على شؤونه ورعاية ماشيته .

وكان محمد في أيام شبابه حريصًا على حضور الندوات الأدبية والأسواق التجارية التي كانت تعقد في مكة وما حولها .

ولقد استرعى انتباهه المرهف الفساد والفجور المتفشيان في هذه الأسواق ، وموائد الخمر والميسر التي كان يختلف إليها أشراف القبائل طوال الليل مما كان يؤدي غالبًا إلى مشاجرات ووقائع دموية .

كل ذلك كان له أثر بالغ في ذهن الشاب اليتيم .

وكثيرًا ما كان يصطحبه عمه في رحلاته التجارية خارج الحجاز .

وقد رأى بدقة ملاحظته وبحسه المرهف أثناء هذه الرحلات الظلم والفساد اللذين تتردى فيهما الإنسانية ، وأفاد بذكائه وقوة ملاحظته من هذه الرحلات اتساعًا في الأفق وتجارب قيمة .

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، خرج إلى الشام في قافلة تجارية للسيدة خديجة بنت خويلد من أشراف قريش الأثرياء التي عهدت إليه بهذه القافلة لما توسمت فيه بالرغم من صغر سنه من أمانة وذكاء وكفاية ، وكان حسن تصريفه لشؤون هذه القافلة ، وما درت من أرباح طائلة على السيدة خديجة عاملًا من العوامل أدى إلى زواجه منها .

ولو أنها تكبره بكثير إلا أن زواجهما كان مثال السعادة والهناء ، أحبته يوم اضطهده الناس ، وصدقت برسالته قبل أن يصدق غيرها من الرجال والنساء ، وأحاطته بعطفها وحبها في وقت من أحرج أوقات حياته ، عندما نزل عليه الوحي وكلف الرسالة ، وقد أنجبت له ولدين وأربع بنات مات الولدان في سن الطفولة ، وعاش البنات الأربع ومنهن من عشن بعد وفاة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .

وكانت السنون الخمس عشرة الأولى من زواجه بالسيدة خديجة سني تحضير واستعداد للرسالة الكبرى ، قضاها الرسول في التفكير في ملكوت الله وخلقه وفي العبادة والاتصال بخالقه .

وكان يقضي وقتًا غير قصير في غار حراء بجوار مكة يتعبد أيامًا طويلة ، وكان يرسل إليه في الغار القليل من الزاد الذي يقوم بأوده .

وفي ذات ليلة وهو في غار حراء وكل شيء هادئ ساكن تحت جنح الليل ، إذ بصوت من السماء يناديه قائلًا :

«اقرأ» ، فقال الرسول : «**ما أنا بقارئ**» .

فرد الصوت مجلجلًا : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ، فارتعدت فرائصه ، وعاد مسرعًا إلى داره بمكة إلى زوجه الحنون خديجة التي هدأت من روعه وقالت له :

«إن الله لن يكلك إلى نفسك وستحمل الأمانة وتبلغ الرسالة» .

وكانت السيدة خديجة أول من اعتنق الإسلام ثم زيد بن حارثة وبعدهما أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص فاتح بلاد الفرس ، وتبعهم آخرون .

وقد ذاق المسلمون الأوائل y ألوانًا من القهر والعنف والاضطهاد من كبار قريش ، وأمضى الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين طويلة مرهقة يدعو للإسلام بين قومه الذين أمعنوا في الرذيلة والكفر وعبادة الأصنام .

زاد الاضطهاد عنفًا على مر الأيام فمُنع الرسول وأصحابه من العبادة في الكعبة ، وتتبعوه هو وأصحابه في كل مكان ، يقذفونهم بالحجارة والأوساخ أثناء تعبدهم ، وأغروا بهم الصبية وسفلة القوم لإيذائهم والتنكيل بهم .

ولما لم تُجد هذه الألوان من الاضطهاد ، تفننت قريش في ضروب أخرى من العذاب منها : إلقاء المسلمين في غياهب السجون وضربهم وتعريضهم لحرارة الشمس القاسية في الصيف ، أما الرسول عليه الصلاة والسلام وبعض من آمن معه من سادة قريش فلم تصل إليهم أيدي المضطهدين بعد .

ولما أحس الرسول عليه الصلاة والسلام بما يعانيه أصحابه من عسف واضطهاد وتعذيب نصحهم بالهجرة إلى الحبشة ، أما هو ونفر من صحبه فبقوا في مواقفهم صامدين ثابتين ثبات الطود الشامخ ، هاجر خمسة عشر مسلمًا إلى الحبشة ، اتباعًا لهذه النصيحة فأكرم النجاشي وفادتهم وأحسن استقبالهم .

وفي السنة السادسة من الرسالة أسلم سيدنا حمزة وسيدنا عمر بن الخطاب ☐ وكان أعز فتيان قريش وأشدهم شكيمة .

ولما لم يفد التهديد والوعيد في التأثير على النبي عليه الصلاة والسلام جنحت قريش إلى الوعد والإغراء فقالوا له : إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نُسوِّدُك علينا ، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًا «جنيًا» قد غلب علي ، بذلنا أموالنا في الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ، فقال عليه الصلاة والسلام :

«ما بي ما تقولون ، ولكن الله بعثني رسولًا ، وأنزل عليَّ كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم

به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» .

لجأت قريش بعد ذلك إلى عم الرسول أبي طالب ، وطلبت إليه أن يأمر ابن أخيه بالكف عن تسفيه آلهتهم والحط منهم ، وتَرْك الدعوة التي يقوم بها ، وإلا فعليه أن يتبرأ منه ويكف عن حمايته .

فأبلغ أبو طالب ما قالته قريش للرسول عليه الصلاة والسلام الذي رد عليه قائلًا : **«والله يا عمي لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري لأقف عن تبليغ الرسالة فلن أفعل حتى يُظهِرَ الله دينه أو أهلك دونه»** .

ولما غادر الرسول عليه الصلاة والسلام مجلس عمه ، دعاه إليه وقال له : «يا ابن أخي ، قل ما تشاء وبلغ رسالتك فإن الله لن يخذلك» .

وفي السنة السابعة من الرسالة أجمعت قريش على مقاطعة الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه بنو هاشم وبنو المطلب على أن لاَ يَنْكحوا منهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا لهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، وكتبوا هذا العهد وعلقوه في الكعبة .

انحاز بنو هاشم وعبد المطلب إلى أبي طالب وخرجوا جميعًا إلا أبا لهب مع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الشعب ، وهو وادٍ قريب من مكة ، أقاموا به سنتين أصابهم فيهما الجهد والعناء ، وكان لا يصل إليهم الماء والزاد إلا سرًّا .

ولما لم يجد قريشًا ذلك شيئًا ورأوا أن الرسول وصحبه ثابتون ثبات الطود عدلوا عن مقاطعتهم ، وعاد الرسول ومعه بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى دورهم في مكة ، على أن سرورهم بعودتهم قد شابه موت السيدة خديجة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام ، فحزن عليها الرسول ﷺ حزنًا شديدًا ، فقد كانت له خير العون والشريك ، وكانت مدة عشرتها لرسول الله خمسة وعشرين عامًا وسمي عام وفاتها عام الحزن .

على أن سماح قريش بعودة الرسول وصحبه إلى مكة لم يثنهم عن الاستمرار في اضطهادهم وتعذيبهم ، وقد رأى الرسول أن يتجه بدعوته إلى الطائف على بعد نيف وسبعين ميلًا من مكة ، فأقام بها وقتًا يدعو قبيلة ثقيف التي تقطن هذه المنطقة إلى

الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى اختضبت قدماه بالدماء .

وكان إذا اشتدت عليه الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه من عضديه ، فإذا مشي رجموه وهم يضحكون ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شج رأسه .

ترك رسول الله عليه الصلاة والسلام الطائف وهو على هذه الحال ومر في طريقه ببستان ، جلس يستظل بأشجاره ، ورفع كفه إلى السماء قائلًا :

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنا ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» (١) .

عاد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مكة ، وتابع الدعوة لرسالته ، فكان يخرج في المواسم والأسواق لبث دعوته ولقي رهطًا من الخزرج من سكان المدينة فقال لهم : **«ألا تجلسون أكلمكم؟»** ، قالوا : «بلى» ، فدعاهم وعرض عليهم الإسلام ، فآمن منهم ستة ، فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلًا من المدينة فأسلموا جميعًا وطلبوا أن يبعث إليهم من يقرأ لهم القرآن ويفقههم في الدين ، فأرسل إليهم مصعب بن عمير وأسلم على يديه من أهل المدينة خلق كثير .

وفي السنة التي تليها حضر سبعون من مسلمي المدينة لدعوة الرسول لكي يهاجر إليها ، فحذرهم من نتائج هجرته إليهم وما قد يلحق بهم من أذى قريش بسببه ، فقالوا : نعم نعلم ذلك ، ولكننا نريد أن تؤكد لنا أنك إذا حضرت إلينا فلن تعود إلى الإقامة بمكة ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه : كلا فدمكم دمي وأنا لكم وأنتم لي ، ولما تمت هذه البيعة ، أمر الرسول عليه الصلاة والسلام من كانوا معه بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا جماعات ، تاركين أهلهم ودورهم وأموالهم ، وبقي بمكة حتى يأذن الله له بالهجرة .

---

(١) أورده ابن إسحاق في السيرة والطبراني في معجمه الكبير عن عبد الله بن جعفر وهو مرسل صحابي .

اجتمعت قريش في دار ندوتهم ، يتشاورون فيما يصنعون بمحمد ، فاستقر رأيهم على قتله ، واختاروا شرذمة من شباب مختلف القبائل لتنفيذ هذه الجريمة ، حتى يكون دمه موزعًا على كل القبائل ولا يقدر بنو هاشم وبنو المطلب على الثأر له .

رابط القوم حول دار الرسول عليه الصلاة والسلام لتنفيذ جريمتهم ، ولكن الله تعالى أعلمه بما يبيتون .

فأمر عليًا بن أبي طالب أن ينام مكانه وأوصاه أن يؤخر هجرته ، حتى يؤدي الودائع التي كانت للناس عند النبي عليه الصلاة والسلام .

ثم خرج من داره وقد أعمى الله بصائر القوم فلم يروه ، وأتى دار أبي بكر مستخفيًا ، واصطحبه إلى غار ثور وهو جبل بأسفل مكة وبقي فيه ثلاثة أيام ، وفي طريقه إلى الغار ، ألقى النبي عليه الصلاة والسلام نظرة أخيرة إلى مكة وإلى البيت الحرام وقال : والله إنك لأحب أرض الله إليَّ ، وإنك أحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت .

ولما فقد الكفار رسول الله ﷺ طلبوه بمكة ، أعلاها وأسفلها ، وبعثوا يقتفون أثره خارجها ، حتى وصلوا إلى غار ثور ورأوا أن العنكبوت قد نسج على مدخله وهمس أبو بكر في أذن الرسول قائلًا : «والله إن أحدهم لو نظر إلى قدميه لرآنا» ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : «**ما ظنك أبا بكر باثنين الله ثالثهما!**» .

وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠] .

بعد أن أمن الرسول وصاحبه شر من اقتفوا أثره ، خرجا معًا ميممين شطر المدينة ، ودخلاها بعد ثمانية أيام ، وكان يومًا حارًا من أيام الصيف (يونيو سنة ٦٢٥م) ، عندما ترجل الرسول عليه الصلاة والسلام عن راحلته لأول مرة على الأرض التي شاء الله أن تكون قاعدة لإمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف .

وبعد وصوله إلى المدينة بدأ ببناء مسجده ، فبُني باللبن وسقف بالجريد وجُعلت عُمُدَه من جذوع النخل ، وعمل فيه المسلمون وكان النبي عليه الصلاة والسلام ينقل اللبن معهم .

ثم نظر في شؤون المهاجرين الذين تركوا أموالهم وضياعهم ودورهم بمكة فارين بدينهم من الأذى واضطهاد الكفار ، وأقام وحدة بينهم وبين الأنصار سكان المدينة ، فأصبح كل مهاجر أخًا لأنصاري : يقطن داره ويشاركه في ماله ، ولكن المهاجرين ما لبثوا أن اعتمدوا على أنفسهم وأغلبهم من التجار فأصبحوا بعد قليل في ثراء وبحبوحة من العيش .

واجه الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ذلك مصاعب جمة بسبب الخلافات الناشئة بالمدينة وما حولها من معتنقي الأديان المختلفة المسلمين والمسيحيين ، واليهود ، فوضع ميثاقًا ينظم علاقات هذه الطوائف مع بعضها ، ويقرر حقوقها وواجباتها ، ويعيد السلام إلى نصابه .

ويقوم هذا الميثاق على أسس أربعة :

١ـ يعيش أهل المدينة على اختلاف أديانهم أمة واحدة .

٢ـ تتمتع كل طائفة بحرية العبادة طبقًا لطقوسها وعاداتها .

٣ـ في حالة الحرب تؤازر كل طائفة الأخرى لصد العدوان .

٤ـ لا يعقد صلح مع عدو إلا بعد التشاور .

على أن اليهود بقبائلهم الثلاث : «بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة» ، لم يرعوا هذا العهد ، بل سرعان ما نقضوه .

بنو قينقاع :

فلقد حدث أن قَدِمَتْ امرأة من العرب إلى سوق اليهود ومعها حلية جاءت بها إلى صائغ من بني قينقاع ، فحاول هو ومن معه كشف وجهها ، وهي تأبى عليهم ذلك ، فجاء يهودي من هذه القبيلة وأثبت طرف ثوبها بشوكة في ظهرها ، فلما استوت واقفة انكشفت سوءتها .

فأغرقوا في الضحك ، فصاحت المرأة مستنجدة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله .

فتأزم الموقف بين المسلمين وبني قينقاع وطلب النبي عليه الصلاة والسلام من بني قينقاع الكف عن أذىٰ المسلمين فاستخفوا بقوله واستمروا في إيقاع الضرر بالمسلمين وإيذائهم .

فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بهم ، فحوصروا في منازلهم ، فاضطروا إلىٰ ترك دورهم وسلاحهم وأموالهم متجهين إلىٰ الشمال صوب الشام .

بنو النضير :

ثبت أن يهوديًّا من بني النضير قتل اثنين ممن أجارهم رسول الله ، فذهب الرسول إليهم ومعه بعض كبار المسلمين مطالبًا بدية القتيلين .

وبينما هم يتفاوضون ، شعر الرسول أن هناك حركة غير عادية في المنزل الذي كان مستندًا إلىٰ جداره فترك الجدار وقفل راجعًا إلىٰ المدينة .

وظهر أن اليهود كانوا يحركون حجرًا ضخمًا فوق الجدار ، ليسقطوه علىٰ الرسول ؛ فما كان من الرسول عليه الصلاة والسلام إلا أن أمر بحصار بني النضير ، وقاتلهم المسلمون عشرين ليلة .

ولما يئس بنو النضير من نجدة حلفائهم من قبائل العرب ، سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام أن يؤمنهم علىٰ أموالهم ودمائهم وذراريهم حتىٰ يخرجوا من المدينة ، فصالحهم الرسول علىٰ ذلك .

وخرج بعضهم إلىٰ خيبر ، واتجه البعض الآخر شمالًا إلىٰ الشام ، تاركين وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة .

بنو قريظة :

لما هزم الكفار وحلفاؤهم في وقعة الأحزاب «الخندق» كان لبني قريظة يد كبرىٰ في معونة الكفار في هذه الحرب ، مخالفين بذلك العهد الذي كان بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام : لهذا أمر الرسول بغزوهم .

وكانوا يقيمون في حصون منيعة ، فحوصروا ودام حصارهم خمسة وعشرين يومًا ، ودارت المفاوضات بينهم وبين المسلمين ، فعرض الرسول علىٰ بني قريظة أن يختاروا حكمًا ، فاختاروا رجلًا من قبيلة الأوس وهو سعد بن معاذ فقبل سعد أن يحكم في الأمر علىٰ شريطة أن يقبل الفريقان قضاءه ، فلما أعطوه المواثيق ، أمر بني قريظة أن

يلقوا السلاح وحكم بأن يقتل القادرون على القتال من الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرية والنساء ، ثم أمر بحفر خندق وجيء باليهود فضربت أعناقهم تنفيذًا لهذا الحكم ، ودفنت جثثهم فيه .

على أن بعض بني قريظة لم يكونوا ليتوقعوا مثل هذا الحكم من سعد بن معاذ حليفهم ، ولكن ثبوت غدرهم وانكشاف سوء طويتهم ، كل ذلك قد أملى عليه أن يحكم بما حكم ، هكذا كانت نهاية قبائل اليهود الثلاث بسبب مكرهم بالمسلمين ونقضهم العهود ، فنزل بهم العقاب جزاءً وفاقًا .

أذن الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام بالقتال ، دفاعًا عن الإسلام وذودًا عن أراضيه فقال الله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩] (١) .

وقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠] .

ولهذا كانت حروبه عليه الصلاة والسلام وغزواته كلها حرب دفاع .

وبينما كان أهل المدينة يعيشون في سلام ووئام ، كان أهل مكة يعدون العدة لغزوهم والاعتداء عليهم ، وفي السنة الثانية من الهجرة جمعت قريش جموعها وساروا إلى المدينة ، فخرج للقائهم في بدر ثلاثمائة مقاتل من المسلمين لا عدة لهم إلا الإيمان بالله والعزم على الاستشهاد في سبيله وفي سبيل دينه الحنيف ، نازلوا قريشًا وهم ثلاثة أمثالهم عددًا وأكثر منهم عدة فأظهرهم الله عليهم ، وأنزلوا بهم هزيمة نكراء ، ارتدوا بعدها مدحورين إلى مكة ، وقتل منهم خلق كثير .

وفي السنة الثالثة من الهجرة (٦٢٥ ميلادية) عادت قريش إلى المدينة مبيتة النية على الثأر لنفسها من هزيمة بدر ، وبعد أن جمعوا جموعهم وأعدوا عدتهم ساروا في جيش لجب قوامه ثلاثة آلاف مقاتل .

فخرج الرسول ورفاقه للقائهم ، وجعلوا جبل أُحُد خلفهم ، ليحمي مؤخرتهم ، وأقام على حراسته خمسين رجلًا وقال لهم مشددًا : «**لا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، واحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل لا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا**» .

---

(١) أي أذن الله بالقتال للذين يقاتلون ظلماً .

ودار القتال فقتل من المشركين عدد غير قليل ، وأنزل الله نصره على المسلمين ، وولى الكفار لا يلوون على شيء .

فلما رأى حماة المؤخرة بأحد ما أحرزه المسلمون من نصر وغنائم ، خالفوا أمر الرسول وتركوا موقعهم ليسهموا في الغنائم .

فنفذ الكفار إلى مؤخرة المسلمين وأحاطوا بهم فدب الفزع في نفوسهم ، وقتل عدد كبير منهم وتفرق البعض ، وعاد الكفار مكة أدراجهم لم يدخلوا المدينة ، ولم يحققوا أمنيتهم من سحق المسلمين .

ولذلك أعادوا الكرة في هجوم ثالث على المسلمين في المدينة ففي السنة الخامسة من الهجرة (٦٢٧ ميلادية) تحرك جيش الكفار من مكة للهجوم على المدينة ، وكان المسلمون قد وصل إليهم النبأ فحفروا خندقًا حول المدينة استعدادًا للقاء العدو وكان هذا أول عهد الجزيرة العربية بهذه الاستراتيجية الحربية كوسيلة لخطة حربية وصل الأعداء في جيش لا يقل عن عشرة آلاف مقاتل من كفار قريش وممن ائتلف معهم من اليهود وقبائل غطفان ، وحاصروا المدينة ودام حصارهم لها شهرًا وحاولوا أكثر من مرة اختراق الخندق ، فردهم المسلمون بخسائر فادحة ، رغم ما كانوا يعانونه من مشقة وجوع ، وأخيرًا بدا على جيش الكفار الملل واليأس من طول الحصار ، وزاد من يأسهم ريح عاتية هبت عليهم اقتلعت خيامهم وأكفأت قدورهم وعادوا خاسرين لا يلوون على شيء .

وفي السنة السادسة من الهجرة ، عزم الرسول ومعه ألف وأربعمائة من المسلمين على أداء العمرة ، ولما وصلوا مشارف مكة اعترض سبيلهم سبعون رجلًا من الكفار ليصدوهم عن دخول مكة ، فتغلب المسلمون عليهم وأسروهم ، ولكن الرسول أمر بإطلاق سراحهم لأنه وأصحابه في رحلة دينية لا حربية ، ولذلك لم يحملوا إلا سلاح المسافر .

ثم تبادل الرسول عليه الصلاة والسلام وسكان مكة الرسل ، وأخيرًا وبعد مفاوضات طويلة اتفق معهم على أن تقوم هدنة وسلام بين الطرفين وحلفائهما لعشر سنين ، وأن يرجع المسلمون إلى المدينة على أن يعودوا لقضاء العمرة في العام التالي ، وألا يأتي المسلمين رجل من مكة حتى ولو كان مسلمًا إلا ردوه إليهم ، وإذا وفد إليهم

رجل من المدينة لا يردونه إليهم حتى وإن كان مسلمًا ، وسمي هذا الصلح صلح الحديبية .

قبل المسلمون صلح الحديبية ولو أن في ظاهرة غُبنًا فادحًا عليهم إلا أن هذا الصلح كان فتحًا مبينًا للمسلمين ضمن لهم شيئًا من الهدوء والسلام ، وأتاح لهم العودة في السنة المقبلة لقضاء العمرة .

على أن هذه الهدنة لم تدم طويلًا ، فقد نقضها كفار مكة باعتدائهم على بني خزاعة حلفاء المسلمين الذين شكوا للرسول ما حل بهم على يد الكفار ، فخير الرسول الكفار بين دفع الدية لبني خزاعة والتنصل من المعتدين أو فسخ الهدنة ، ففضل الكفار فسخ الهدنة لعلهم يشفون غليلهم بالقضاء على المسلمين .

وفي السنة الثامنة من الهجرة (٦٣٠ ميلادية) جهز الرسول دفاعًا عن حلفائه بني خزاعة جيشًا قوامه عشرة آلاف مقاتل لفتح مكة ، وكان لكل قبيلة من قبائل المسلمين كتيبة فيه .

ولما وصل المسلمون مشارف مكة ، وزع الرسول عليه الصلاة والسلام الكتائب على مختلف المواقع ، وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، وقد تم دخول مكة بسلام باستثناء مناوشة بسيطة بين كتيبة خالد بن الوليد اعتدى عليها بعض كفار مكة .

دخل الرسول عليه الصلاة والسلام مكة دون قتال يذكر : مكة القريبة إلى قلبه رغم أنها أخرجته وأذاقته وأصحابه ألوانًا من الاضطهاد والتعذيب ، وقد أصبحت الآن تحت رحمته يلقن أهلها درسًا بليغًا في الإسلام وما يحمله من رحمة وتعاطف ، دخل الرسول البيت الحرام وخطب الناس ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

«أيها الناس : إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دمًا أو يعضد[1] بها شجرة ، فليبلغ الشاهد الغائب» .

ثم قال : **«يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟»** . قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»** .

---

(١) يعضد : يقطع .

ثم اتجه إلى الأصنام يهدمها بمحجنه [١] ويقول :

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١] .

ثم ذهب إلى ربوة الصفا بجوار البيت الحرام ، ووافاه الناس أفواجًا ليدخلوا في دين الله ، فتحقق بذلك قوله تعالى :

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر:١-٣] .

وبعد فتح مكة ، خشي الأنصار المرافقون للرسول عليه الصلاة والسلام أن يحن إلى مسقط رأسه ويبقى به ، وأشعروه بذلك فقال لهم :

«معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم» .

ولقد كان فتح مكة حدثًا هامًا في الإسلام ، فيه الخير كله للمسلمين ودينهم الحنيف ، فما عاد الرسول إلى المدينة حتى أخذت وفود العرب تترى يعلنون إسلامهم وولاءهم لرسول الله ، ولذلك يسمى هذا العام التاسع من الهجرة (٦٣٠ ميلادية) عام الوفود .

ومن هذا العام بدأت الجزيرة العربية كلها تحيا حياة عز وخلق وكرامة بفضل اعتناقهم الإسلام ونبذهم عبادة الأصنام .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يغدق المنح على هذه الوفود ويبعث مع كل وفد معلمًا يفقههم في القرآن والدين .

وكان يوصيهم بالرفق والهوادة وربما يدخل البشر والمسرة في نفوسهم وكان يقول لهم : **«إذا سألكم أهل الكتاب عن طريق النجاة والسعادة في هذه الحياة ، فقولوا : إنه الإيمان والعمل الصالح»** .

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة ، أقبل موسم الحج واعتزم الرسول عليه الصلاة والسلام أداء الفريضة شكرًا لله ﷻ على ما واتاه من توفيق ونصر مؤزر وشعورًا منه بدنو أجله ، وكان هذا الحج آخر عهده بالبيت الحرام والبقاع المقدسة .

وفي يوم الحج الأكبر ، خطب الرسول للناس فقال : **«أيها الناس ، اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا . أيها الناس ، إن دماؤكم**

---

(١) محجنه : عصاه .

وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا قد بلغت . من كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . أيها الناس ، إن لكم على نساءكم حقًا ، ولهن عليكم حقًا «لكم عليهن ألا يوطئن فُرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» .

«اعقلوا أيها الناس قولي ، لقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا ، أمرًا بينًا : كتاب الله وسنة رسوله» .

يا أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس فلا تظلمُن أنفسكم ، ألا هل بلغت ؟

أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، وكلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت .

فأجاب الجميع بصوت واحد : «نعم» ، فقال : «اللهم فاشهد» .

وبعد أن أتم الرسول عليه الصلاة والسلام خطابه وصلى الظهر والعصر ، ركب ناقته حتى بلغ الصخرات ، وهناك تلا على الناس قول الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] .

فلما سمعها أبو بكر بكى لأنه وجد فيها إشعارًا بدنو أجله عليه الصلاة والسلام .

عاد الرسول وصحبه إلى المدينة ، وقد أمن جانب الجزيرة العربية ، بعد دخول أهلها في دين الله أفواجًا ، وكان دائم التفكير في أمر الفرس والروم وما يهدد الإسلام من خطرهم .

وفي السنين العشر التي قضاها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة ، وضع أسس الحكم في الدولة الإسلامية وشرَّع للمسلمين في شؤون دينهم ومعاملاتهم ، كما أنه اضطر في هذه الفترة لخوض ستة حروب دفاعية كبيرة أرغمه الكفار على خوضها دفاعًا عن الإسلام ، فيا له من مجهود ضخم لا يقدر على أدائه إلا مُلهم تُوجهه القدرة الإلهية .

أمضى الرسول عليه الصلاة والسلام نحو سنة في المدينة بعد حجة الوداع ، وقد أخذت صحته في الاعتلال خلال هذا العام ، ولكنه كان يؤمن المسلمين في الصلاة ويُصرف شؤونهم ويُشرع لهم ، ولكن صحته كانت في ضعف مستمر حتى اضطر في آخر أيامه إلى الاعتكاف بداره وإنابة أبي بكر ﷺ ليؤم المسلمين في الصلاة .

وفي يوم الاثنين ١١ ربيع الأول (٨ يونية سنة ٦٣٢ ميلادية) ، بينما كان الرسول على فراش مرضه يدعو الله همسًا ، صعدت روحه الكريمة إلى الرفيق الأعلى بعد أن قضى حياته لله وفي سبيل الله وسبيل رسالته السماوية .

ووري جسمه الشريف التراب !

ولكن الشعلة المقدسة التي كان يحملها لا زالت تضيء العالم ، والدين الذي بعثه الله به منذ نيف وأربعة عشر قرنًا يزداد انتشارًا ورسوخًا ، ويزداد العالم كل يوم اقتناعًا بأنه دين السلام والرحمة والسعادة .

١ـ رسالته عليه الصلاة والسلام

النصوص القرآنية :

أرسله الله تعالى بالحق شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، ورحمة للعالمين .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء:١٧٠] .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴾ [ص:٦٥ـ٦٨] (١) .

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴾ [المزمل:١٥] .

أنزل عليه القرآن الكريم هدىً للناس ليحكم به يزكينا ويعلمنا الحكمة :

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٥] .

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [النساء:١٠٥] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى:٥٢] .

ويأمره الله تعالى بتبليغ رسالته والدعوة إليها ، بادئًا بعشيرته وأهله :

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] .

---

(١) نبأ عظيم : الرسالة السامية التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام .

ويدعوه الله تعالى إلى الجد في نشر الرسالة والدعوة لها بالحكمة والحسنة :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥] .

﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:٦٧] .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨] (١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر:١-٥] (٢) .

٢ـ آيات الإرشاد والتوجيه

ولقد واجه الرسول عليه الصلاة والسلام هو ومن معه ألوانًا من الاضطهاد والمكر والخداع ، والعداوة من الكفار وأهل الكتاب والمنافقين ، فأنزل الله تعالى عليه من آيات الإرشاد والتأديب والتوجيه ما يثبت به فؤاده ويقوي إيمانه فيأمره الله تعالى بالصبر والتوكل عليه :

﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:٤٩] .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل:٧٩-٨١] .

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٧، ١٢٨] .

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الطور:٤٨، ٤٩] (٣) .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩] .

---

(١) على بصيرة : على طريقة مبصرة واضحة .

(٢) والرجز فاهجر : اترك الرذائل أو الفواحش التي تؤدي إلى غضبه وعذابه .

(٣) بأعيننا : في رعايتنا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:١-٣] .

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

ويأمره سبحانه وتعالى ألا يمد عينيه إلى متاع الدنيا الزائل ، فقد حل به ضيق فلم يجد ما يطعمه فأرسل إلى تاجر يهودي ليبيعه بأجل شيئًا من الدقيق ، فأبى البيع إلا برهان ، فقال ﷺ : «**والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه ، اذهب بدرعي هذا رهنًا لما تشتريه منه**» ، فنزلت الآية الكريمة :

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١] (١) .

ويأمره الله تعالى أن يخفض جناحه للمسلمين ويستشيرهم في أموره :

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨] .

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[آل عمران:١٥٩] .

كما يأمره الله تعالى ألا ينقطع عن الجلوس مع فقراء المسلمين والتحدث إليهم خشية انفضاض كبار قريش وأغنيائهم عنه ، فقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يجلس مع فقراء المسلمين وكانوا يلبسون جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها ، فقال له كبار قريش : لو نحيت هؤلاء «بلالًا وعمارًا وخبابًا وغيرهم من الفقراء y» ، عن مجلسك لجلسنا معك وأخذنا عنك .

فأنزل الله تعالى :

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] (٢) .

---

(١) أزواجًا منهم : أصنافًا من الفكرة .

(٢) بالغداة : من أذان الصبح إلى طلوع الشمس ، العشي : من الظهر إلى غروب الشمس ، لا تعدو عيناك عنهم : لا تتجاوزهم عيناك ، وكان أمره فرطًا : من تجاوز للحق .

فذهب عليه الصلاة والسلام إلى فقراء المسلمين وقرأ عليهم هذه الآية الكريمة وقال : «**الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات**» (١) .

ويعاتبه الله تعالى لما أعرض عن ابن أم مكتوم الأعمى والرسول عليه الصلاة والسلام جالس مع بعض عظماء قريش يدعوهم إلى الإسلام فنزلت الآيات الكريمة :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [عبس:١-١٢] .

ومن رحمة الله تعالى وحبه لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام أن أنزل الله سبحانه وتعالى من الآيات ما يعزيه ويشفي صدره ويخفف وقع إعراض الكفار عن رسالته ومكر المنافقين به ، فيقول سبحانه وتعالى :﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:٢٠] .

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٧٦]

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾

[الحجر:٩٤-٩٩]

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الروم:٥٢-٥٣] .

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر:٨] (٢) .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾

[الشورى:٤٨]

---

(١) سلمان .

(٢) لا تذهب نفسك عليهم حسرات : لا تهلك نفسك أسى وحسرة على غيهم .

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم:٨ـ٩] .

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام:٣٥، ٣٦] (١) .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٧، ١٠٨] .

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء:١ـ٤] (٢) .

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس:٧٦] .

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم:٢٩، ٣٠] .

﴿ طٰهٰ ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ [طه:١ـ٤] (٣) .

---

(١) وإن كان شق عليك يا محمد إعراضهم عن رسالتك فإن أمكنك أن تغوص في جوف الأرض أو تصعد إلى السماء بمعجزة فافعل ولكن لا فائدة من وراء ذلك فهم من الجاهلين .

(٢) باخع نفسك : قاتلها همًا وحزنًا .

(٣) وانظر أيضًا : الأنعام (٥٢ـ ٥٤) ، طه (١٣١، ١٣٢) ، الروم (٣٤) ، الفتح (٢٥) ، ق (٢٩ـ٤٠) ، النجم (٢٩، ٣٠) ، الكهف (٨ـ ١٢) ، المعارج (٥ـ ٧) .

٣ـ آيات التبشير

وبالقرآن آيات كثيرة يبشر الله بها رسوله الكريم في مناسبات متعددة تبشيرًا يعينه على أداء الرسالة ويقوي عضده فمن ذلك قوله :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] .

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

[النساء:٨٠] .

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأنفال:٦٢] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر:٨٧، ٨٨] (١) .

لما حيل بين الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه وبين أداء العمرة أرسل عليه الصلاة والسلام سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ليفاوض كفار قريش ، ولما تأخرت عودته شاع بين المسلمين أنه قُتل ، فبايعوا الرسول عليه الصلاة والسلام بيعة الرضوان على القتال والموت ، وفي رواية أخرى على الصبر ، فنزلت الآية الكريمة :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:١٠] .

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الفتح:١٨ـ٢١] (٢) .

---

(١) المثاني : سورة الفاتحة وآياتها سبع .

(٢) فتحًا قريبًا : فتح خيبر وقيل : فتح مكة ، مغانم كثيرة : مغانم المسلمين في صلح الحديبية ، وأخرى لم تقدروا عليها : فتوحات الإسلام الكثيرة المختلفة التي تلت ذلك أو انتشار الإسلام في العالم وإعلاء كلمة الدين .

ولما عقد صلح الحديبية مع كفار قريش على أن يعود الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه في العام المقبل لأداء العمرة نزلت الآيات الكريمة : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٧، ٢٨] (١) .

ويبشر الله نبيه الكريم وصحبه بأن ما تم بالحديبية هو فتح مبين :

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:١-٣] (٢) .

ولما تأخر الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام فترة طويلة جزع جزعًا شديدًا فأنزل الله تعالى : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:١-٨] (٣) .

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:١-٨] (٤) .

ولما توفي أبناء الرسول عليه الصلاة والسلام شمتت قريش فيه وكانوا يلقبونه بالأبتر أي الذي لا ولد له فنزلت السورة الكريمة :

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:١-٢] (٥) .

---

(١) **الرؤيا** : رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام أنه دخل مكة ، **محلقين ومقصرين** : حلق الشعر وتقصيره من مناسك الحج .

(٢) فتح خيبر الذي تلا صح الحديبية .

(٣) **سجى** : شمل ظلامه الأرض ، **قلى** : أبغضك ، **فهدى** : هدى بالرسالة الإسلامية ، **أغنى** : أغناه الله بالقناعة .

(٤) **نشرح لك صدرك** : بالإسلام ، **وزرك** : الحمل الثقيل حمل الرسالة وتبديد الظلام والجهل ، **أنقض** : أثقل ، رفعنا لك **ذكرك** : بالرسالة ، **فرغت** : فرغت من تبليغ الرسالة ، **فانصب** : ثابر على العبادة .

(٥) **الكوثر** : الخير الكثير «الرسالة ، العلم ، الإيمان ، الخلق الفاضل ، وما إلى ذلك من الخيرات الروحية» ، **النحر** : التضحية في سبيل الله ، **شانئك** : مبغضك ، **الأبتر** : الذي لا عقب له ولا أثر له من ذكر حسن .

٤ ـ خلقه عليه الصلاة والسلام

كريم صادق أمين رءوف رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ، يدعو إلى الله على بصيرة ، وهو أذُن خير للمسلمين وأسوة حسنة وعلى خلق عظيم أول المسلمين وإمامهم وسيد المرسلين وخاتم النبيين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام .

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨، ١٢٩] (١) .

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] (٢) .

وكان جماعة من منافقي المدينة يؤذون الرسول عليه الصلاة والسلام ويقولون عنه ما لا ينبغي ، فنهاهم بعضُهم أي بعض المنافقين الآخرين عن إيذاء النبي عن ذلك ، فقالوا : إن محمدًا أذن سامعة نقول فيها ما نشاء ثم نأته فيصدقنا ، فنزلت الآية الكريمة :

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١] (٣) .

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:١ـ٤] .

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:١ـ٤] (٤) .

---

(١) عنتم : شديد على نفسه ما تلاقونه من مشقة ، تولوا : أعرضوا عن الرسالة .

(٢) أسوة : قدوة ، واقرأ أيضًا : النساء (٧٩، ٨٠) ، آل عمران (١٦) ، الكهف (٦) .

(٣) أذن : يصدق كل ما يقال له .

(٤) غير ممنون : غير مقطوع .

وتأمل هذا الوصف الرائع لرسول الله عليه الصلاة والسلام وصحبه ومن نهج نهجهم :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩] (١) .

وجاء في الحديث الشريف وفي الأثر عن الرواة الثقات :

«لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ، الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي تحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب» (٢) .

«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟!» ، قال : **«فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»** (٣) .

ولما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه : اركب هذا الوادي واسمع من قوله ، فرجع إليه فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق (٤) .

وبينما كان النبي عليه الصلاة والسلام جالسًا في المسجد ، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال : أيكم محمد ؟ فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فقال الرجل : ابن عبد المطلب ؟

فقال له النبي ﷺ : **«قد أجبتك»** .

فقال : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة ، فلا تجد عليَّ في نفسك .

فقال : **«سل عما بدا لك»** ، فقال : بربك ورب من قبلك ، آلله أرسلك للناس كلهم ؟ فقال : **«اللهم نعم»** ، فقال : أنشدك بالله : آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس كلهم؟ فقال : **«اللهم نعم»** ، فقال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تصلي

(١) سيماهم : علامتهم ، **الشطأ** : هو النبات الجديد الذي يخرج من ساق الشجرة ، آزره : قواه .

(٢) البخاري ومسلم ومالك عن جبير بن مطعم ، **على قدمي** : على أثري ، **العاقب** : ليس بعدي أحد من الأنبياء .

(٣) البخري ومسلم عن أبي هريرة ، **اللبنة** : الطوبة .

(٤) البخري ومسلم عن أبي ذر .

الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ فقال : «**اللهم نعم**» ، فقال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : «**اللهم نعم**» ، قال أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقراءنا ؟ قال : «**اللهم نعم**» ، قال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة [١] .

ويصف سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول :

جمع الله السيرة الفاضلة ، والسياسة العامة ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ في بلاد الجهل والصحاري ، وفي فقر وفي رعاية الغنم ، لا أب له ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة ، وأخبار الأولين والآخرين ، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة ، والغبطة والخلاص في الدنيا ، ولزوم الواجب وترك الفضول .

دخل سعد بن هشام على السيدة عائشة فسألها عن أخلاق النبي ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن [٢] .

كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة [٣] .

---

(١) البخاري عن أنس .

(٢) مسلم وأحمد عن عائشة .

(٣) البخاري ومسلم عن ابن عباس .

٥ ـ هيئته عليه الصلاة والسلام

وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة من قمر ، وكنا نعرف ذلك منه [١] ، كان أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ، ليس بالطويل البائن ، ولا القصير [٢] ، كان ربعة من القوم ، أزهر اللون ، ليس بأبيض أمهق ولا آدم ، ليس بِجَعْدٍ قَطط ، ولا سبط رجل ، أنزل عليه وهو ابن أربعين ، مكث بمكة عشر سنين ينزل عليه ، وبالمدينة عشر سنين فتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته شعرة بيضاء [٣] .

كان النبي عليه الصلاة والسلام مربوعًا بعيد ما بين المنكبين ، له شعر يبلغ شحمة أذنه ، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئًا قط أحسن منه [٤] .

٦ ـ كلامه عليه الصلاة والسلام

كان أوجز الناس كلامًا يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول ولا تقصير بين كلامه ولو توقف يحفظه سامعه ويعيه [٥] .

ولو عده العاد لأحصاه [٦] .

وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة [٧] .

ولا يقول المنكر ، ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق [٨] ، ويعرض عمن تكلم بغير جميل [٩] .

---

(١) البخري ومسلم عن كعب بن مالك .

(٢) البخري ومسلم عن البراء .

(٣) مسلم عن براء ، **ربعة** : لا بالطويل ولا بالقصير ، **الأبيض الأمهق** : هو الكريه البياض كلون الجص ، يريد أنه كان نير البياض ، **آدم** : السمرة الشديدة ، **جعد قطط** : تقبض الشعر ، **السبط الرجل** : الشعر المسترسل .

(٤) البراء عن مسلم .

(٥) الترمذي في الشمائل عن هند بن أبي هالة .

(٦) الخمسة إلا النسائي عن عائشة .

(٧) الترمذي في الشمائل عن هند بن أبي هالة .

(٨) أبو داود عن عبد الله .

(٩) الترمذي في الشمائل عن علي بن أبي طالب .

ودخل رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا : السام عليكم ، قالت عائشة ﷺ : ففهمتها ، فقلت : وعليكم السام واللعنة .

قال رسول الله ﷺ : «**مهلًا يا عائشة ، عليك بالرفق في الأمر كله**» ، وفي رواية أخرى أضاف قوله : «**إياك والعنف والفحش**» ، قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : «**قد قلت : وعليكم**» (١) .

لم يكن النبي سبابًا ولا فحاشًا ولا لعانًا .

كان يقول لأحدنا عند المعتبة : «**ما له ؟ ترب جبينه**» (٢) .

قال أنس : خدمت النبي عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فما قال لي : «**أف**» ، وما قال لشيء صنعته ؟ ولا لشيء تركته : «**لم تركته**» (٣) .

وكان عليه الصلاة والسلام أشد حياء من العذراء في خدرها إذا كره شيئًا عرف في وجهه (٤) .

ولو شاء النبي عليه الصلاة والسلام الغنى لأعطاه الله الغنى والثراء ، ولكنه يفضل عيش الكفاف والفاقة ، فكان عليه الصلاة والسلام لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامة فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٥) ، لا يُسأل عن شيئًا إلا أعطاه (٦) .

ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه ، حتى أنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء (٧) .

جاءت امرأة للنبي عليه الصلاة والسلام ببردة فقالت : يا رسول الله : أكسوك هذه ؟ فأخذها النبي عليه الصلاة والسلام محتاجًا إليها ، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذه فاكسنيها ، فقال عليه الصلاة

---

(١) البخاري ومسلم عن عائشة ، **السام** : الموت .

(٢) البخاري عن أنس ، **ترب جبينه** : خر لوجهه فأصاب التراب .

(٣) البخاري ومسلم عن أنس .

(٤) البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري .

(٥) البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ، **العذراء** : البكر .

(٦) الطيالسي والدارمي عن سهل بن سعد .

(٧) الترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس ، ويدل عليه حديث ابن عباس أنه توفي ودرعه مرهونة في طعام أخذه لأهله .

والسلام : «نعم» ، وأعطاه إياها ، فلما قام ﷺ لام أصحاب النبي الرجل وقالوا له : ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ محتاجًا إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه ، قال الرجل : رجوت بركتها حين لبسها لعلي أُكَفَّنُ بها [١] .

وقالت السيدة عائشة ﵂ تحدث عروة :

كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في بيت رسول الله ﷺ نارًا ، فقلت : يا خالة ، وما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار كانت لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله من ألبانها فيسقينا [٢] .

وكانت السيدة عائشة ﵂ تقول : «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا» [٣] .

وكان عليه الصلاة والسلام يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع [٤] .

ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ، وما عاب طعامًا قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه [٥] .

وكان عليه الصلاة والسلام أنجد الناس وأشجعهم ، فقد جاء في الأثر عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ :

«لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان أشد الناس يومئذٍ بأسًا» .

وقال أيضًا : وكنا إذا احمر البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه [٦] .

وكان عليه الصلاة والسلام قليل الحديث ، فإذا أمر الناس بالقتال تَشَمَّرَ فكان أشد من الناس بأسًا [٧] .

---

(١) البخاري والنسائي عن سهل بن سعد .

(٢) البخاري ومسلم عن عائشة ، المنائح : المواشي التي تحلب اللبن .

(٣) البخاري ومسلم عن عائشة .

(٤) البخاري ومسلم عن جابر .

(٥) الخمسة إلا النسائي عن أبي هريرة .

(٦) أحمد والنسائي والبيهقي في الدلائل عن علي بن أبي طالب ، احمر : اشتد القتال .

(٧) أبو الشيخ عن سعد بن عياض .

وكان عليه الصلاة والسلام مثال التواضع ، فقد جاء في الأثر :

«كان يسترد ف» [١] ، وكان يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم في مهنة أهله [٢] .

وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم [٣] ، ويجالس الفقراء [٤] ، ويؤاكل المساكين [٥] .

وأتى ﷺ برجل ، فأرعد من هيبته ، فقال له : «**هَوِّن عليه فلست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد**» [٦] .

وكان إذا جلس مع الناس : إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم ، وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم ، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم : رفقًا وتواضعًا لهم [٧] .

وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانًا ، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون ، فيبتسم هو إذا ضحكوا [٨] .

وكان عليه الصلاة والسلام أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع المقدرة فقد جاء في الأثر :

وكان رسول الله ﷺ في حرب ، فرأى «المقاتلون لرسول الله» المسلمين في غمرة ، فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ فقال : من يمنعك مني ؟ فقال : «**الله**» ، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال : «**من يمنعك مني ؟**» ، فقال : كن خير آخذ ، قال : «**قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» .

فقال : لا ، غير أني لا أقاتلك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

فخلى النبي عليه الصلاة والسلام سبيله .

---

(١) أبو الشيخ عن عمران بن حصين والبخاري ومسلم عن أسامة ، **يسترد ف** : يحمل شخصًا معه على دابته .

(٢) أحمد عن عائشة ، **يخدم في مهنة أهله** : يخدم مع أهله في أعمال المنزل .

(٣) البخاري من حديث أنس .

(٤) أبو داود عن أبي سعيد .

(٥) البخاري عن أبي هريرة .

(٦) الحاكم في المستدرك عن جرير ، **أرعد** : خاف ، **القديد** : اللحم المجفف .

(٧) الطبراني بإسناد حسن ، **أخذ معهم في الحديث** : شاطرهم الحديث .

(٨) مسلم عن زيد بن ثابت .

فجاء الرجل أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس [١] .

«أتت يهودية النبي عليه الصلاة والسلام بشاة مسمومة ليأكل منها ، فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت : أردت أن أقتلك ، فقال : «**ما كان سلكك على ذلك ؟**» ، قالوا : أفلا تقتلها ؟ فقال : «**لا**» [٢] .

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة [٣] ، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين [٤] .

وكان أبعد الناس غضبًا ، وأسرعهم رضى ، فالرسول خير الناس [٥] ، يغضب لربه ، ولا يغضب لنفسه [٦] ، لا يهوله شيء من أمور الدنيا [٧] ، ينفذ الحق ولو عاد عليه أو على أصحابه بالضرر ، أدركه وهو في إحدى غزواته رجل قد كان يذكر عنه له جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب الرسول حين رأوه وهم في قلة ، قال الرجل الرجال للنبي عليه الصلاة والسلام : جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له : «**أتؤمن بالله ورسوله؟**» ، قال الرجل : لا ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : «**فارجع فلن أستعين بمُشرك**» [٨] .

وكان عليه الصلاة والسلام يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم [٩] .

يصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هم أفضل منهم [١٠] ، لا يجفو على أحد [١١] .

يقبل معذرة المعتذر إليه [١٢] .

---

(١) البخاري ومسلم عن أنس ، في غمرة : في غفلة .
(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .
(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .
(٤) النسائي والحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى .
(٥) الترمذي عن أبي سعيد الخدري .
(٦) الترمذي في الشمائل عن هند بن أبي هالة .
(٧) أحمد بمعناه عن عائشة وفيه ابن لهيعة .
(٨) الستة إلا البخاري عن عائشة ، **أصيب معك** : أشترك معك في الغنائم .
(٩) الترمذي في الشمائل عن علي بن أبي طالب .
(١٠) الحاكم من حديث ابن عباس .
(١١) الترمذي في الشمائل عن أنس .
(١٢) متفق عليه من حديث كعب بن مالك .

يمزح ولا يقول إلا حقًا [١] .

يضحك من غير قهقهة [٢] .

لا يمضي عليه وقت من غير عمل لله تعالىٰ ، أو فيما لا بد له من صلاح نفسه [٣] ، وترفع الأصوات عليه فيصبر [٤] .

لا يحتقر مسكينًا لفقره وزِمانته ، ولا يهاب ملكًا لملكه ، ويدعو هذا وهذا إلىٰ الله دعاء سويًا [٥] .

قيل للنبي عليه الصلاة والسلام وهو في القتال : لو لعنتهم يا رسول الله ، قال : **«إنما بعثت رحمة لا لعانًا»** [٦] .

وكان إذا سئل أن يدعو علىٰ مسلم أو كافر ، عدل عن الدعاء عليه إلىٰ الدعاء له [٧] .

وما خُيِّر النبي عليه الصلاة والسلام بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه ، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها [٨] .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا لقي أحَدًا من أصحابه بدأه بالمصافحة [٩] .

وكان يكرم من يدخل عليه ، حتىٰ ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة أو رضاع يجلس عليه [١٠] .

وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته ، فإن أبىٰ أن يقبلها عزم عليه حتىٰ يفعل [١١] .

---

(١) أحمد عن أبي هريرة .
(٢) البخاري ومسلم بمعناه عن حديث عائشة .
(٣) الترمذي في الشمائل بمعناه عن حديث علي بن أبي طالب .
(٤) البخاري بمعناه عن عبد الله بن الزبير .
(٥) مسلم عن أنس .
(٦) مسلم عن أبي هريرة .
(٧) البخاري ومسلم بمعناه .
(٨) مسلم عن عائشة .
(٩) أبو داود عن أبي ذر .
(١٠) الحاكم بمعناه عن أنس .
(١١) أحمد بمعناه عن أبي عمرو .

وكان عليه الصلاة والسلام أرأف الناس بالناس، خير الناس للناس، وأنفع الناس للناس، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله [١].

وكان إذا قام من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك [٢].

عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام.

(١) العراقي في الجزء الأول من فوائد أبي الدحداح عن علي بن أبي طالب.
(٢) للنسائي في عمل اليوم والليلة عن رافع بن خديج.

الفصل الثالث
القرآن الكريم

مقدمة :

هو الكتاب السماوي المنزل على سيدنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، هدى ورحمة ونبراسًا يهتدي به الناس في شؤون دينهم ودنياهم ، أوحى به للرسول بلفظه العربي ، وفيه يقول الله تعالى لرسوله الكريم :

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢ـ ١٩٥] (١) .

ويقول السيد أمير علي العالم الهندي في كتابه القيم «روح الإسلام» : القرآن هو الكتاب الكريم الذي أضفى على اللغة العربية جمالها وحفظ لها نقاوتها ، فآياته البليغة التي تجمع بين العظمة والبساطة يبدو خلالها أدب المؤدب ، وفلسفة الفيلسوف ، وصرخة المواطن الحر في قومه ليقلعوا عما تردوا فيه من رذيلة وانحطاط خلقي ، وفوق ذلك فهو كلام الرحمن الرحيم ، على لسان نبيه الكريم ، داعيًا عباده إلى صراطه المستقيم ، كل ذلك جعل للقرآن الكريم مركزًا فريدًا بين الكتب السماوية .

وقد أوحى بالقرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام على فترات في خلال ثلاثة وعشرين عامًا ، وكان ينطق بنفس الألفاظ التي كان يوحي بها إليها .

وكان بعد أن ينزل عليه الوحي يدعو أحد كُتَّابه ويملي عليه ما أوحي إليه ربه ، فكانوا يكتبونه على العظام وسعف النخل والأحجار وصحاف الفخار ، وكان أصحاب الرسول يتسابقون في حفظه وتلاوته في صلواتهم .

ورغبة في الاحتفاظ بصحة القرآن كما أوحى به ، عَيَّن الرسول عليه الصلاة والسلام أربعة حفاظ ، كانوا يرتلون القرآن في حضرته ، وسمح لهم بتعليمه للناس ، وقد أدى ذلك إلى تزايد عدد حفاظ القرآن .

ومن الثابت أن القرآن كان في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام مكتوبًا كله في صحف متفرقة ، ويحفظه عن ظهر قلب عدد كبير من المسلمين .

---

(١) الروح : سيدنا جبريل .

ولقد أوحي بثلثي القرآن الكريم في مكة المكرمة ، وأغلبه في الإيمان والمبادئ الأولية للإسلام ، والدعوة لوحدانية الله وعبادته ونبذ الأصنام والثلث الآخر أوحي به في المدينة ، ويتناول أكثره شؤون الحكم والأخلاق ، والمعاملات والأحوال الشخصية .

وبه مائة وأربع عشرة سورة ، والستة والثمانون سورة التي أوحىٰ بها في مكة أغلبها قصير ، أما الثماني والعشرون سورة التي أنزلت بالمدينة فأغلبها طويل ، وهناك من الأدلة التي لا تقبل نقضًا بأن سور القرآن وآياته رتبت في وضعها الحالي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام بيد أنه لم توجد في عهده نسخة كاملة مجموعة مع بعضها .

وينقسم القرآن من حيث موضوعاته إلى عدة أقسام :

١ـ العقائد من إيمان بالله وبرسله وكتبه وملائكته والإيمان باليوم الآخر وما فيه ، وبالقضاء .

٢ـ الوعد والوعيد .

٣ـ الأخلاق الفاضلة وآداب السلوك .

٤ـ المعاملات من بيع وميراث وشهادة وإثبات وما إلىٰ ذلك .

٥ـ العقوبات علىٰ الجرائم .

٦ـ الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة ووصية وما إلىٰ ذلك .

٧ـ قصص الأولين .

ولم يجمع القرآن الكريم في نسخة واحدة إلا في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ ، حيث عني شخصيًا بتحقيق آياته وسوره مما كتب علىٰ مختلف الرقاع ومن حفاظه الكثيرين ، وكانت النسخة الأولىٰ لتي جمعت في حوزة أبي بكر ﷺ وبعد وفاته بقيت مع السيدة حفصة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ تواترت الشكوىٰ أن بعض قبائل العرب كنت تنطق بآيات القرآن وفق لهجتها مما يغير أحيانًا معانيها ، فعهد سيدنا عثمان إلىٰ لجنة من أربعة من الكتاب والحفاظ بنسخ صورة طبق الأصل من الذي جمع في عهد سيدنا أبي بكر ﷺ ، فتم نسخ سبع نسخ منه ، وزعت علىٰ مختلف القبائل والأمصار ،

مع أوامر مشددة باتباعها بدقة ، وإتلاف ما عداها من نسخ ، وبذلك أصبح النص العثماني هو النص السائد المعتمد في البلاد الإسلامية حتىٰ وقتنا هذا ، وهو نفس النص الذي أوصىٰ به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذا هو ما أضفىٰ علىٰ القرآن الكريم الصحة والثقة التي لا تتوافر لغيره من الكتب السماوية المتداولة الآن ، وفي ذلك يقول الكاتب «نولديك» في الموسوعة البريطانية «الطبعة التاسعة» : إن جهود الباحثين الأوربيين لإثبات وجود آيات دخيلة علىٰ القرآن قد ذهبت سدىٰ وباءت بالفشل .

ويقول العالم الألماني «دويتش» :

هذا هو القرآن الذي فتح به العرب في عشرات السنين أرضًا أوسع رقعة من إمبراطورية الإسكندر والإمبراطورية الرومانية التي فتحت كل منها في مئات السنين ، وبه وصل العرب إلىٰ أوروبا دون غيرهم من الساميين ملوكًا يتبوءون عروشها ، علىٰ حين وفد الفينقيون إليها تجارًا واليهود لاجئين أو أسرىٰ ، وكان الظلام والجهل يسودان العالم الغربي ، حتىٰ جاء إليه المسلمون يحملون القرآن ومعه الحكمة والعلم ليبعثوا علوم اليونان وحكمهم من قبرها ، ولينشروا في الغرب والشرق الفلسفة والأدب والطب والفلك والفن حراسًا أمناء علىٰ مصدر الحضارة الغربية ومهد العلم الحديث ، كل ذلك جعلنا معشر الغربيين نقف في أسىٰ ونحيب يوم سقطت غرناطة من أيدي المسلمين .

من القرآن الكريم :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧] .

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨] .

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤] (١) .

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩] .

---

(١) وقر : صمم مانع من السماع .

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[المائدة:١٥، ١٦].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

ويأمرنا الله تعالى بتدبر آياته:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص:٦٧، ٦٨].

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١، ٤٢].

وقد يسره الله تعالى لمن أراد أن يتذكر:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٢٢].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه**»(١).

ويوصينا رسول الله عليه الصلاة والسلام بتعلم القرآن وتفهمه وتعليمه: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٢).

ويثني النبي عليه الصلاة والسلام على قارئ القرآن فيقول: «**مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة: طعمها طيب وريحها طيب**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني بسند ضعيف.

(٢) البخاري والترمذي عن علي.

(٣) البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري، الأترجة: بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم وتخفيفها: شجرة وثمر طيب حسن الطعام والريح.

«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدها : كتاب الله وسنتي هذه ولن يفترقا حتى يردا على الحوض» [١] .

وقال ابن عباس : ضمني رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال : «اللهم علمه الكتاب» [٢] .

«بعثت بجوامع الكلم» [٣] .

(١) الحاكم عن أبي هريرة .
(٢) البخاري ومسلم عن ابن عباس .
(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

الفصل الرابع
السنـــــة

مقدمة:

وهي بعد القرآن الكريم المصدر الثاني للإسلام والتشريع الإسلامي ، ذلك القرآن الكريم جاء بمبادئ عامة دون الدخول في التفاصيل التي تكفلت السنة بإمدادنا بها ، وفي خلال الثلاثة والعشرين عامًا الأخيرة من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وضع هذه التفصيلات الهامة وأحكمها بسلوكه وعاداته الشخصية وبأحاديثه مع أصحابه وبأحكامه التي كان يصدرها فيما يعرض عليه من أمور .

فرض القرآن الكريم الصلاة والصوم والزكاة ولكنه لم يبين كيف تؤدى هذه الفروض ، فتكفلت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ببيان ذلك تفصيلًا ، ولم تقتصر السنة على بيان ذلك فحسب ، بل شملت بتفصيل وسهاب نواحي هامة من المعملات وآداب السلوك والعلاقات في المجتمع .

وكما قدمنا فإن القرآن الكريم قد أوحى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بلفظه ومعناه ، أما السنة فقد أوحيت إليه معنى لا لفظًا ، ولهذا فإن هناك فرقًا شاسعًا بين لغة القرآن ولغة السنة .

في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كانت سنته أفعالًا وأقوالًا يعيها أصحابه وتنتقل منهم على مر السنين من راوٍ لآخر ، ولم تكتب السنة في عهد الرسول بل يقال : إنه نهى عن كتابتها لئلا تختلط بالقرآن الكريم .

فقد روى مسلم في صحيحه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**لا تكتبوا عني ، ومن كتب غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» ، ولم يبدأ تدوين السنة إلا حوالي منتصف القرن الثاني من الهجرة ، وفي القرن الثالث بذل مجهودًا متصلًا لتحقيق الحديث وفي خلال هذا القرن وضعت الصحاح الستة وهي : «صحيح البخاري ، مسلم ، الترمذي ، سنن ابن ماجه ، سنن أبي داود والنسائي» ، وقد قام مصنفو هذه الصحاح بمجهود يذكر في تحقيقها وتبويبها فكانوا ينسبون الحديث لمن سمعه من الرسول عليه الصلاة

والسلام ثم من رواه عنه ثم من روىٰ عن الراوي الثاني والثالث والرابع إلى آخر سلسلة الرواة ، ولابد أن يكون كل الرواة من الثقات الذين عرف عنهم الأمانة في النقل والدقة في الرواية ، فإذا ثبت أن أحدهم ليس من الثقات لم يؤخذ بالحديث ، وكان بعض مؤلفي الصحاح يسافرون مئات الأميال لتحقيق حديث واحد من أحاديث الرسول ، ومن هنا نشأ علم الرجال وهو علم يبحث في تاريخ رواة الحديث وقيمتهم ومبلغ الثقة فيهم من حيث رواية الحديث .

ولهذا يمكن القول بشيء من التأكيد :

إن الأحاديث الواردة في الصحاح الستة كلها صحيحة يعتمد عليها ويؤخذ بها ، بهذا الكنز الثمين من الأحاديث النبوية الموثوق بها وضع الرسول السمات النهائية لهذا الدين الحنيف وأرسىٰ قواعده ووضع تفصيلاته العامة وصدق الله تعالىٰ إذ يقول :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾

[المائدة:٣] .

السنة في النصوص القرآنية :

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] .

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] .

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

[النساء:٨٠] .

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] .

ويخاطب الله سبحانه رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام فيقول :

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ:٥٢، ٥٣] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦] .

السنة في الحديث النبوي :

«رحم الله امرأ سمع منا حديثًا فوعاه ، ثم بلغه من هو أوعى منه» [١] .

«بلغوا عني ولو آية» [٢] .

«نضر الله امرأ سمع مني حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه» [٣] .

«إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة» [٤] .

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ» [٥] .

«إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هو هدي محمد» [٦] .

«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» [٧] .

«من تبع سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة» [٨] .

«من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن ابتدع بدعة فعمل بها كان عليها مثل أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا» [٩] .

---

(١) ابن عساكر عن زيد بن خالد الجهني .

(٢) البخاري عن ابن عمرو .

(٣) الترمذي عن زيد بن ثابت .

(٤) البخاري ومسلم عن حذيفة .

(٥) أبو داود عن العرباض بن سارية .

(٦) مسلم عن جابر .

(٧) الترمذي عن عبد الله بن عمر .

(٨) البخاري عن أنس .

(٩) ابن ماجه عن عمر بن عوف .

الفصل الخامس
الفرائـــــض

١ـ الصـــــلاة

مقدمة :

الصلاة عبادة بدنية ومناجاة روحية يتصل بها العبد بخالقه اتصالًا روحيًا لشكره على ما وهب وتفضل وليدلي له بما في نفسه من رجاء وخوف ، يتجه فيها إلى الله بقلبه ، وهو الله القوي الحنَّان المعطي ، المجيب المضطر إذا دعاه .

وللصلاة إذا أديت على وجهها الصحيح أثر خُلُقي بالغ في نفس المسلم ، فبدؤه الصلاة بتكبيرة الإحرام بقوله : «الله أكبر» إعلان بألوهية الله ووحدانيته في التصرف في شؤون خلقه ثم قراءته الفاتحة وتلاوة ما تيسر من القرآن ثم الركوع والوقوف ثم السجود والاعتدال مرتين وأثناء ذلك كله يسبح المصلي بحمد الله ويستغفره من ذنوبه وزلاته ، كل هذه الحركات بالجسم ، والأقوال باللسان ، تعين على حضور القلب والخشوع في حضرة الله .

والإنسان بفطرته متكبر مختال ، والكبر والخيلاء هما أساس كل الرذائل والنقائص ، ومن ثم فالصلاة تدرب المسلم على التواضع والخشوع ، إذ فيها يضع المسلم وجهه وهو أشرف جزء في الإنسان على الأرض شكرًا وخشوعًا وذلة لله العلي العظيم .

فالصلاة كما يقول القرآن الكريم : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

وقبل أن يقف المسلم بين يدي الله يجب أن يكون نظيفًا نظافة مادية وروحية فعليه أن يتوضأ ، وفي أثناء وضوئه وغسله وجهه ويديه ورجليه ومسحه برأسه يستغفر الله على ما ارتكبته يداه أو رجلاه ولسانه من عمل يغضب الله ، أو ما مر بذهنه من خواطر المعاصي والريب ، فيطهر بذلك قلبه ، ويقف بين يدي الله حاضر الذهن والقلب .

وقد فرضت الصلاة خمس مرات في اليوم ، في الصباح الباكر والظهر وفي العصر وبعد غروب الشمس وفي العشاء ، وتستغرق هذه الصلوات الخمس وقتًا يتراوح في مجموعه بين نصف الساعة والساعة ، من وقت المسلم كل يوم .

فهذا هذا وقت طويل يقضيه المسلم على خمس فترات في اليوم خاشعًا مستغفرًا شاكرًا ربه على نعمه وآلائه ؟

يقضي الإنسان ساعات طويلة في اليوم لتناول طعامه ، وساعات للنزهة وترويح النفس ، فهل نصف ساعة يصرفها العبد في غذائه الروحي يكرسه للوقف بين يدي خالقه يثقل كاهله ؟!

وقد يسَّر الله الصلاة على عباده كما يسر سائر الفرائض فالإسلام دين يسر وسماحة فقد سمح للمسافر بقصر الصلاة أي إنقاص الركعات الأربع إلى النصف ، ولا يقصر من الصلاة إلا الصلوات الرباعية فقط ، وأباح للمريض أن يصلي جالسًا أو مستلقيًا أو مومئًا ، كما أتاح في حالات معينة جمع صلاتي العصر مع الظهر ، والعشاء مع المغرب جمع تقديم أو تأخير .

وإذا خيف ضياع الوقت في غير حالة السفر فسمح أن يجمع بين الصلاتين جمع تقديم أو تأخير مع الإتمام ، وسمح في الوضوء أثناء النهار بالمسح على الجورب دون غسل القدمين إذا بدا التوضؤ في يومه بالوضوء الكامل بما في ذلك غسل القدمين .

ولو أن صلاة الجماعة مندوبة كلما اجتمع اثنان أو أكثر لما فيها من فضائل الاجتماع والتعارف والتواد والتكافل بين المسلمين ، فإن صلاة الجمعة لابد فيها من الجماعة ، ويؤم المسلمين أقدرهم وأعلمهم بشؤون الدين وأكثرهم قبولًا لدى المصلين إذ ليس في الإسلام كهنة أو قسيسون ، وفي صلاة الجماعة يقف المصلون خلف الإمام في صفوف متراصة مستقيمة لا عوج فيها ، يركعون ويسجدون تبعًا للإمام في وحدة ونظام .

وفي الصلوات الجامعة ليس هناك مكان ممتاز لحاكم أو أمير أو غني ، بل يقف الجميع في مساواة تامة وإخاء لا فرق بينهم .

ويتجه المسلمون في صلواتهم الخمس نحو الكعبة المكرمة وهي قاعدة الإسلام ، يتجه إليها المسلمون شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا يحيطون بها في كل صلاة في دوائر : مركزها الكعبة ، وتتسع هذه الدوائر من بيت الله الحرام كلما ابتعدنا عنه ، يقف فيها ملايين المسلمين على اختلاف جنسياتهم وألوانهم خمس مرات في النهار يكبرون ويسبحون ويعبدون الله الواحد القهار الرحمن الرحيم .

فالصلاة إذن ليست عبادة دينية روحية فحسب بل هي سبب للتهذيب والتدريب على النظام والوقار وتوحيد كلمة المسلمين في مختلف بقاع العالم وجمعهم خمس مرات في اليوم مهما بعدت بهم الشقة حول الكعبة في بيت الله الحرام .

الصلاة في النصوص القرآنية :

إذا سهوت أو تكاسلت عن أداء فرض الصلاة فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤، ٥] .

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة:٤٥] .

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣] (١) .

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠] .

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٨، ٧٩] (٢) .

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩] .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤، ١٥] .

ومن صفات المؤمنين أنهم :

﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣] .

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٩] .

---

(١) موقوتًا : محدودًا بوقت .

(٢) من دلوك الشمس إلى غسق الليل : أي من الظهر إلى بعد مغيب الشمس أي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قرآن الفجر : أي صلاة الصبح .

الصلاة في الحديث النبوي :

وتدب قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«**إذا ثوِّب بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء**» (١) .

«**ساعتان لا ترد على داع دعوته : حين تقام الصلاة ، وفي الصف في سبيل الله**» (٢) ، واعلم أن الصلاة تغسل الذنوب .

«**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ؟ هل يبقى من درنه شيء ؟**» ، قالوا : لا ، قال : «**كذلك مثل الصلوات يمحو الله بهن الخطايا**» (٣) .

ولا تنس أن الرسول عليه الصلاة والسلام قدم الصلاة على غيرها من الفروض فقال : «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، يُنظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر**» (٤) .

«**لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد**» (٥) .

وسئل النبي عليه الصلاة والسلام : أي العمل أحب إلى الله ؟ فقال : «**الصلاة على وقتها**» ، قال : ثم أي ؟ قال : «**بر الوالدين**» ، قال : ثم أي ؟ قال : «**الجهاد في سبيل الله**» (٦) .

وخطب رسول الله ﷺ الناس في حجة الوداع فقال : «**اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا إذا أمرتم ، تدخلوا جنة ربكم**» (٧) .

«**مفتاح الجنة الصلاة**» (٨) .

«**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**» (٩) .

---

(١) أحمد عن جابر .
(٢) الحاكم عن سهل بن سعد ، في الصف : أي ترتيب الصفوف للجهاد .
(٣) الخمسة عن أبي هريرة ، الدرن : الوسخ .
(٤) الطبراني عن أنس .
(٥) الطبراني عن ابن عمر .
(٦) البخاري ومسلم عن ابن مسعود .
(٧) الترمذي والحاكم عن أبي أمامة .
(٨) أحمد عن جابر بن عبد الله .
(٩) مسلم وأحمد عن أبي هريرة .

«من حافظ على الصلاة كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وأُبَيِّ بن خلف» (١) .

كان رسول الله إذا حزبه أمر صلى (٢) .

«الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر» (٣) .

٢ـ الزكـــاة

مقدمة :

إذا كانت الصلاة عبادة بدنية روحية ، فالزكاة عبادة مالية ، وسميت زكاة لأنها تزكي النفس وتزكي المال الذي يخرج منه الزكاة .

وسترى من قراءة النصوص القرآنية التي سنوردها فيما بعد أنه كلما ذكرت الصلاة في القرآن الكريم اقترنت الزكاة بها مما يدل على أنها تليها في الأهمية .

والصدقة تحض عليها جميع الأديان السماوية ، لكن الإسلام يمتاز عليها بأن نظمها وأوجب أداءها سنويًا بنسبة ثابتة من المال وجعلها أساسًا من أسس الإيمان وإحدى الفرائض الأربع التي هي ركن من أركانه ، وإذا كانت الصلاة هي تعبير روح شكر العبد لخالقه ، فالزكاة تعبير عملي مادي لهذا الشكر ، وأداء لواجب الإنسان نحو أخيه الإنسان ، ووسيلة لإشاعة التعاون والمحبة بين أفراد المجتمع .

وهي فريضة على الأغنياء تؤخذ منهم لترد على الفقراء وعلى المنافع العامة ، والحد الأدنى المعفي من الزكاة هو ما يقل عن ٨٣ جرامًا من الذهب ، أو مائتي درهم من الفضة بنسبة ٥ , ٢٪ ، مما يملكه من نقد وعروض للتجارة .

ومن الأوجه العامة لصرف أموال الزكاة عدا صرفها للفقراء والعاملين عليها وابن السبيل صرفها في سبيل الله ، والصرف في سبيل الله يشمل أوسع المعاني كالدعوة إلى الله ودينه الحنيف ، وفتح المدارس والمستشفيات وإدارتها ، وإقامة أعمال الري

(١) أحمد والطبراني وابن حبان عن عبد الله بن عمر .

(٢) أحمد وأبو داود عن حذيفة .

(٣) الطبراني عن أبي هريرة .

والصرف وإنشاء الحصون وتجهيز الجيوش والمحافظة على الأمن الداخلي والخارجي وإصلاح الأراضي وإنشاء المصانع . ... إلخ .

وهناك مصرف آخر هام للزكاة ورد ذكره في القرآن الشريف وهو صرف الزكة «في الرقاب» أي على تحرير الرقيق عندما كان شائعًا في العالم وقت ظهور الإسلام وجدير بالذكر أن الإسلام لم يترك مناسبة إلا انتهزها للحض على تحرير الرقيق ، فأمر بالعتق ككفارة لبعض الذنوب ، وذهب إلى الأمر بإنفاق جزء من مال الدولة لتحريرهم ، أما وقد اندثر رقيق الأفراد في هذا العصر فلا زال رقيق الأمم عن طريق الاستعمار باقيًا ، وأرى أن الصرف على تحرير الأمم من ربقة الاستعمار وذله واستثماره للشعوب هو مصرف شرعي يأمر الإسلام بصرفه من الخزانة العامة .

الزكاة في النصوص القرآنية :

إذا أمسكت عن إخراج الزكاة من مالك ، فاعلم أنك أهملت ركنًا هامًا من أركان دينك ، وفرضًا لا قِبَل لمن وجب عليه أن يهمله ، اقرأ وتدبر قوله تعالى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٣، ١٠٤] (١) .

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩] (٢) .

ويقرن القرآن الكريم الزكاة في أكثر المواضع بالصلاة : ذلك أن الصلاة تزكي النفس ، والزكاة تزكي المال والنفس :

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠] .

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠] .

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤] .

---

(١) سكن لهم : تسكن إليها النفوس .

(٢) المضعفون : الذين لهم أضعاف مضاعفة من الثواب .

ويعدد الله تعالى أنواع البر التي يحب الله أن يؤديها العبد فيقول تعالى :

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠] (١) .

في أدائها بر كالإيمان بالله تعالى وبكتبه ورسله :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] (٢) .

الزكاة في الحديث النبوي :

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام عما يدخل الجنة .

فقال : «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**» (٣) .

وأوصى النبي عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل ﷺ لما أوفده إلى اليمن ، فقال :

«**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعملهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة من أموالهم : تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم**» (٤) .

---

(١) **المؤلفة قلوبهم** : هم من اعتنقوا الإسلام ، **وفي الرقاب** : تحرير الرقيق ، **الغارمين** : هم المدينون غير القادرين على أداء دينهم .

(٢) **البأساء** : شدة الفقر ، **الضراء** : المرض ، **حين البأس** : وقت شدة القتال .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي أيوب .

(٤) الستة عن ابن عباس .

٣ـ الصـــوم

مقدمة:

الصوم هو الركن الثالث للإسلام فُرض للامتثال لطاعة الله وللتهذيب والتأديب والسمو الأخلاقي، وهو يقع في الشهر التاسع من السنة الهجرية(شهر رمضان)، وهو الشهر الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للناس ورحمة، ومدته شهر ينقطع الصائم فيه عن الشرب والأكل والتمتع بمختلف اللذات الجسدية من الفجر إلى المغرب.

ولما كانت السنة الهجرية تحسب طبقًا لدورة القمر، فإن شهر الصيام يقع على مر السنين في مختلف فصول السنة فيتعرض الصائم للجوع والعطش في حر الصيف وبرودة الشتاء، وفي هذا تقويم للخلق وتقوية للنفس والجسم على تحمل المشاق وعلى الصبر وهو أساس كل فضيلة.

وهو فرض على البالغ القادر لتربية النفس وكبح جماح الشهوات واللذات، ولا يكفي أن يمتنع الصائم عن المأكل والشراب، بل يتعين عليه أن يكف يده ولسانه وتفكيره عن كل سوء ورذيلة.

ويباح الإفطار للمريض والضعيف ومن هم على سفر، بشرط أن يقضوا صيام الأيام التي أفطروها عندما تزول الأسباب التي أدت إلى الإفطار، أما المرضى والضعفاء العاجزون عن الصيام في رمضان وفي غيره لسبب أو آخر فيباح لهم الإفطار، بشرط إطعام مسكين عن كل يوم من أيام رمضان.

إن تحمل العطش والجوع والإمساك عن مختلف اللذات والكف عن الرذيلة واللغو ومنكر القول لمدة شهر كامل فيه رياضة روحية وتأديبية سامية.

ولا شيء أقوى وأفعل في كبح جماح النفس البشرية والسمو بها إلى أعلى الدرجات من الجوع والعطش والامتناع عن اللذات وكف اللسان عن اللغو وباطل الحديث، وهو ما يأمر به الإسلام كل صائم.

وفي كلمة موجزة: يعلم الصيام الامتثال لأوامر الله وشكر نعمه والتحكم في الغريزة البشرية والصبر والرجولة والعطف على الفقراء وما إلى ذلك من الفضائل السامية التي هي أساس كل نجاح وسعادة.

الصوم في النصوص القرآنية :

إذا أهملت صوم شهر رمضان ، فاعلم أنك تهمل ركنًا من أركان الدين ، وفرضًا يتعين على كل مسلم قادر أداؤه ، واقرأ وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾

[البقرة:١٨٣ـ ١٨٥] (١) .

الصوم في الحديث النبوي :

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

الصيام كفارة للذنوب يستجيب الله فيه للصائم .

«إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة» (٢) .

«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٣) .

والصيام عبادة وتهذيب وتأديب :

يقول الله تعالى في الحديث القدسي :

«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنَّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، وإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم» (٤) .

«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (٥) .

---

(١) **يطيقونه** : يتحملونه بمشقة .

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) أحمد عن أبي هريرة .

(٤) البخاري عن أبي هريرة ، جُنَّة : وقاية .

(٥) البخاري عن أبي هريرة .

٤ـ الحـــج

مقدمة:

الحج أحد أركان الإسلام الخمسة وهو يقع في الشهور الأخيرة «شوال، وذي القعدة، عشرة أيام من ذي الحجة»، من السنة الهجرية، وهو فرض يُشيع بين المسلمين الأخوة الإسلامية رغم اختلاف ألوانهم وجنسياتهم.

وإذا كانت صلاة الجماعة في صلاة الجمعة قد شرعت ليجتمع أهل القرية أو أهل المدينة في صلاة أسبوعية جامعة في طاعة الله، يتعرفون شؤونهم وأحوالهم ويمدون يد المساعدة بعضهم لبعض فقد شرع الله الحج ليجتمع المسلمون على نطاق أوسع اجتماعًا إسلاميًا دوليًا يضم المسلمين من بقاع الأرض، وهو فرض يتيح لهم أن يتدارسوا شؤونهم الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويوثقوا عرى الأخوة الإسلامية بين أممهم، وهذه هي منافع الحج التي يشير إليها الله تعالى بقوله:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٧، ٢٨][1].

والحج فريضة على كل مسلم بالغ قادر يمتلك ما يكفيه لنفقة عياله وسفره للحج، وينبغي للحاج أن يعد نفسه لهذه الرحلة الروحانية، فينسى ولده وماله ويتجه بكل قلبه إلى خالقه، وإذا جاء موعد الحج فعليه أن يحرم بأن يغتسل أولًا، ثم يغطي جسده بقطعتين من قماش غير مخيط، ثم ينوي الحج.

ومن هذا الوقت عليه أن يمتثل لأمر الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

ولمناسك الحج معان روحية رفيعة سامية يجب ألا ينشغل الحجاج عنها بالأعمال المادية لهذه المناسك.

فغسل الإحرام هو بمثابة تطهير الإنسان نفسه من الآثام والرذائل، وليس قطعتي القماش غير المخيطتين تذكير بالموت ورمز لتجويد الإنسان عن الدنيا ومغرياتها

---

(١) ضامر: الجمال الضامرة الهزيلة من طول السير.

ومساواته مع غيره من المخلوقات ، فلباس الإحرام واحد للغني والفقير والأمير والحقير لا يمتاز واحد منهم عن الآخر في شيء ، فالحجاج ضيوف الله وكلهم متساوون ، لا يجوز أن يمتاز واحد عن آخر بملبس أو مظهر .

والطواف سبع مرات حول الكعبة المشرفة إن هو إلا طواف الروح والقلب حول قدسية الله وعظمته ، وإشعار بتعلقها بالذات الإلهية .

والسعي بين الصفا والمروة إنما هو التردد في ساحة الله الكريم أملًا في القبول والمغفرة ورمي الجمار خلال الأيام الثلاثة التالية ليوم النحر إنما هو معاهدة العبد لخالقه على نبذ الشيطان ومغرياته ، والاعتزام على مقاومة النفس الأمارة بالسوء .

والدرجة الرفيعة في مناسك الحج التي لا يتم إلا بها ، هي الوقوف بعرفة في تاسع يوم من ذي الحجة ، وفي هذا اليوم يقف مئات الآلاف من المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم برءوسهم الحاسرة وثيابهم البيضاء في صعيد واحد ومساواة تامة ، رافعين أكفَّ الضراعة للعلي القدير أن يقبل توبتهم ويغفر لهم ويهديهم سواء السبيل ، في هذه الساعات القليلة النادرة التي تسمو فيها الروح إلى أعلى عليين وتتفتح فيها أبواب السماء يناجي الحجاج ربهم ، كل بما في نفسه من رجاء ودعاء مُنادين : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك له لبيك . . .» .

منظر رائع للامتثال لإرادة الله وللرجاء في عفوه ومغفرته .

الحج في النصوص القرآنية :

إذا سنحت لك فرصة الحج لبيت الله الحرام ، وأنت قادر على أدائه ، فاغتنمها ولا تفرط فيها ، وتدبر قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٦، ٩٧] (١) .

والحج فيه تثبيت للإيمان وتهذيب للأخلاق وتعويد للنفس على الأدب والأخلاق السامية .

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة:١٩٧] (٢) .

(١) بكة : مكة «الجزء الذي تقع فيه الكعبة» .

(٢) الرفث : مباشرة النساء أو فحش الكلام ، الفسوق : الخروج عن حدود الشريعة أو الشباب .

وفي الحج منافع كثيرة للناس تعود عليهم كأفراد وجماعات :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج:٢٧، ٣٠] (١) .

الحج في الحديث النبوي :

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«**من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» (٢) .

والحج جهاد بالنفس والمال :

«**حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها ، الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» (٣) .

وقد سئل مرة : أي العمل أفضل ؟

فقال : «**إيمان بالله ورسوله ، ثم الجهاد في سبيل الله ، ثم حج مبرور**» (٤) .

والحاج في ضيافة الله ، يكرمه ويغفر له ويستجيب لدعائه :

«**الحجاج والعمار وفد الله ﷻ : إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم**» (٥) .

والحج إحدى الفرائض الخمس التي قام عليها الإسلام :

«**بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا**» (٦) .

---

(١) أذن : أعلم الناس ، رجالاً : مشاة ، الضامر : البعير الهزيلة من السفر ، الفج العميق : الطريق المحصور بين جبلين ، يقضوا تفثهم : يزيلوا أوساخهم .

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٤) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٥) النسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ، العمار : زوار بيت الله الحرام يفدون لأداء العمرة .

(٦) البخاري ومسلم عن ابن عمر .

الباب الثاني
أهم ما يواجه الناس من مشاكل
١ـ الابتـــــــلاء

(انظر أيضًا الصبر)

إذا ابتليت بفقد عزيز ، أو في مالك ، أو في صحتك ، أو بظلم وقع عليك ، وضاقت السبل أمامك ، فاصبر واعلم أن هذا بلاء واختبار من الله لامتحانك ومعرفة مدى إيمانك ، واذكر وتدبر قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

[البقرة:١٥٥ـ١٥٧] .

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:٣١] .

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣] (١) .

واعلم انه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك وأذن به :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[التغابن:١١] .

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:٥١] .

---

(١) يفتنون : يختبرون ليعلم الصادقين من الكاذبين .

واعلم أن رُبَّ شر تكرهه يقدر الله فيه خيرًا كثيرًا :

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] .

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣] .

وكن على يقين بأن الله سبحانه وتعالى سيتبع العسر يسرًا :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤] (١) .

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧] .

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥] .

واعلم أن ابتلاء الله لك يكون في الخير ، كما يكون في الشر :

فإذا آتاك الله مالًا ، فأد حق الله والفقير فيه ، وإذا ابتلاك الله بالجاه والمنصب ، فد حق الله فيهما بالقول والإصلاح ، وأحسن كما أحسن الله إليك :

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] (٢) .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«**أشد الناس بلاءً : الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل**» (٣) .

ويبشر النبي عليه الصلاة والسلام الصابر على البلاء بأن الله تعالى يحبه وجزيه أحسن الجزاء ، ويكفر عنه خطاياه .

---

(١) **البأساء** : الفقر ، الضراء : المرض ، **زلزلوا** : اضطربوا وطال اضطرابهم واستبطأوا النصر حتى تساءل الرسول متى نصر الله .

(٢) **ترجعون** : ترجعون إلى الله فيحاسبكم على ما ابتلاكم به من خير وشر ، واقرأ أيضًا : الكهف (٧، ٨) ، الصافات (١٠٣ - ١٠٩) ، محمد (٣١) ، الملك (١ ، ٢) ، الإنسان (١ـ ٣) ، الفجر (١٥ - ٢٠) .

(٣) ابن ماجه والترمذي عن سعد .

«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم ، حتى الشوكة يُشاكها ، إلا كفَّر الله بها خطاياه» (١) .

«من يرد به خيرًا يصب منه» (٢) .

«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سَخِطَ فله السَّخَطُ» (٣) .

«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (٤) .

«ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» (٥) .

وإذا ابتليت فادع بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام حيث كان يقول : «اللهم إني أسألك من اليقين ما تهون عليَّ به مصيبات الدنيا» (٦) .

والمؤمن إذا ابتلي صبر وحمد ، ويشبهه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفتها ، فإذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء» (٧) .

كنت خلف النبي عليه الصلاة والسلام فقال : «يا غلام ، إنني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة إذا اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف» (٨) .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد .
(٢) البخاري وأحمد عن أبي هريرة .
(٣) الترمذي وابن ماجه عن أنس .
(٤) أحمد ومسلم عن صهيب .
(٥) الترمذي عن أبي هريرة .
(٦) الحاكم عن ابن عمر .
(٧) البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، خامة الزرع : أول ما ينبت على ساق الزرع ، كفتها : أمالتها ، الأرزة : شجرة الصنوبر .
(٨) الترمذي عن ابن عباس .

٢ـ الإســـراف

إذا حدثتك نفسك بالإسراف والتبذير ، فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة:٨٧] (١) .

والمسرف لا يحبه الله :

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام:١٤١] .

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وجعل الله المسرفين في مصاف الشياطين والمغضوب عليهم :

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٢٧] .

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه:٨١] (٢) .

ويأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتوسط في الأمر ، فلا إسراف ولا تقتير :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

[الإسراء:٢٩] .

ويبشر الله المعتدلين في الإنفاق بأنهم من عباده :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٣ـ٦٧] .

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا : فيرضى لكم أن تعبدوه لا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا ولاة أموركم ، ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» (٣) .

---

(١) لا تعتدوا : لا تسرفوا .

(٢) تطغوا : تتجاوزوا الحد فيه .

(٣) أحمد ومسلم عن أبي هريرة .

«كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة» (١) .

ويذكر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن القصد في الغنى والفقر هو من المنجيات :

«ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الرضا والغضب» (٢) .

٣ـ البخـــل

إذا حدثتك نفسك بالبخل أو الشُّح عن الإنفاق لله وفي سبيل الله فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤] (٣) .

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم:٣١] .

واعلم أن النفس البشرية قد جُبلت على الشُّح ، لذا يحذرنا الله منه ، فيقول سبحانه :

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٢٨] (٤) .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ [الليل:٥ـ ١١] (٥) .

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩] .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد:٢٣، ٢٤] .

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ

(١) أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عمرو ، مخيلة : الخيلاء والتكبر .

(٢) الطبراني عن أنس .

(٣) خلة : صداقة .

(٤) أحضرت الأنفس الشح : جبلت على البخل .

(٥) اليسرى : اليسر ، العسرى : العسر .

لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد:٣٦ـ٣٨](١) .

واعلم أنك لن تنال البر حتى تنفق مما تحب في سبيل الله :

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

[آل عمران:٩٢] .

وينذر الله تعالى الذين يبخلون بالإنفاق في سبيله بالويل والثبور :

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[آل عمران:١٨٠] .

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة:٣٤، ٣٥] .

ويبارك الله للمنفقين في سبيله :

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٦١، ٢٦٢](٢) .

ويكرم الله تعالى المنفقين في سبيله بأنهم مقرضون له سبحانه وتعالى ويبشرهم بالخير الجزيل :

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٥] .

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾

[التغابن:١٧] .

﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ ﴾

[المزمل:٢٠] .

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩] .

---

(١) يحفكم : يبالغ في طلبها ، أضغانكم : أحقادكم .

(٢) المن : اعتداد المحسن بإحسانه على المحسن إليه .

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يذكرنا بأن الشُّح من المهلكات :

«اتقوا الشُّح ، فإنه أهلك من قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (١) .

«شر ما في الرجل : شُح هالع ، وجبن خالع» (٢) .

«ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه» (٣) .

واستمع إليه عليه الصلاة والسلام حيث يقول : **«إنه لا يصلح لديننا إلا السخاء ، ولا يجتمع شح وإيمان في جوف واحد : إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ، فلا يصلح لدينكم إلا السخاء ، وحسن الخلق ، فزينوا دينكم بهما»** (٤) .

«لا يجتمع شح وإيمان في قلب عبد أبدًا» (٥) .

«السخي قريب من الله قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد عن النار ، والبخيل ، بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل سخي خير من عابد بخيل» (٦) .

«خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق» (٧) .

---

(١) الطبراني عن ابن عمر .

(٢) أبو داود عن أبي هريرة ، هالع : محزن ، خالع : مخيف .

(٣) مسلم عن جابر .

(٤) الطبراني عن ابن عمر ، واقرأ أيضًا عن البخل : البقرة (٢١٥، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨) ، وآل عمران (٩٢) ، والتوبة (٧٩، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١١١) ، والإسراء (٢٦، ٢٩) ، والروم (٣٨) ، وفاطر (١٠، ٢٩) ، والحديد (٧، ١١، ١٨) ، والتغابن (١٦، ١٧) ، والبلد (١١ - ١٦) ، المزمل (٢٠) ، والليل (٥ إلى ٧، ٢١، ٢٦، ٢٩) ، والضحى (١٠، ١١) ، الصف (١٠، ١٣) .

(٥) النسائي والحاكم عن أبي هريرة .

(٦) الترمذي عن أبي هريرة .

(٧) الترمذي .

٤ ـ التقوى

إذا حدثتك نفسك باتباع الهوى وارتكاب أمر يغضب الله تعالى ، فاتق الله واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦] (١) .

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠] .

وإذا اتقيت الله فلا يَمَسَّك سوء ولا حزن :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠، ٤١] .

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٦١] (٢) .

والله تعالى يأمرنا بالتقوى ، ويحذرنا من هول يوم الحساب :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣] .

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣] .

وإذا اتقيت الله وذكرته ، فتح الله بصيرتك ، وصرف عنك كيد الشيطان ، وغوايته :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] .

وتذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني**» (٣) .

---

(١) هذا الخطاب لسيدنا داود عليه السلام .

(٢) **بمفازتهم** : بفوزهم .

(٣) الطبراني عن ابن عمر .

ويضع الرسول عليه الصلاة والسلام جهاد الهوى في منزلة الجهاد الأكبر :

«الجهاد الأكبر جهاد الهوى» [١] .

«حبك للشيء يعمي ويصم» [٢] .

«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» [٣] .

وائتمر بقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

«اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها» [٤] .

سئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : **«تقوى الله وحسن الخلق»** [٥] .

«اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك» [٦] .

---

(١) أحمد والترمذي وابن ماجه عن شداد بن أوس .

(٢) البيهقي عن جابر بسند ضعيف .

(٣) أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء .

(٤) أحمد والترمذي عن أبي ذر .

(٥) الترمذي وبن حبان عن أبي هريرة .

(٦) الطبراني عن علي بن أبي طالب ، واقرأ أيضًا عن التقوى : البقرة (٤٨) ، آل عمران (١٠٢) ، النساء (١) ، المائدة (٣٥) ، الأنعام (٧٢) ، الأعراف (١٢٨، ١٩٩) ، الأنفال (٢٩) ، التوبة (١١٩) ، الحجر (٤٥) ، النحل (١٢٨) ، طه (١٣٢) ، الفرقان (٧٤) ، الأحزاب (٧٠، ٧١) ، (ص٤٩، ٥٤) ، الزمر (٦١) ، الحجرات (١٣) ، القمر (٥٤، ٥٥) ، الحديد (٢٨) ، الحشر (١٨، ٢٠) ، التغابن (١٦) ، التحريم (٦، ٧) ، الزمر (١٦) .

٥ ـ التجسس

لمـــز ، سخريـــة ، سوء ظـــن

إذا أُغريت بالتجسس على أخيك أو غيبته أو لمزه أو السخرية به وسوء الظن فيه ، فاذكر وتدبر واعمل بقول الله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:١١، ١٢] (١) .

واذكر وتدبر وسر على الأدب الذي يؤدبنا به النبي عليه الصلاة والسلام ، حيث يقول :

«إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا» (٢) .

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا مشيرًا إلى صدره الشريف بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» .

«كُلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله» (٣) .

«إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٤) .

«إنك إن اتبعت عورات المسلمين ، أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» (٥) .

«إياكم والفحش ، فإن الله تعالى لا يحب الفحش والتفحش» (٦) .

---

(١) تلمزوا : تعيبوا ، لا تنابزوا بالألقاب : لا يدعو بعضكم بعضًا بألقاب السوء .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، التجسس : البحث عن العورات ، تدابروا : تعادوا .

(٣) مسلم عن أبي هريرة .

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٥) أبو داود عن معاوية .

(٦) ابن حبان عن أبي هريرة .

«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (١) .

«إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء ، وإن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم أخلاقًا» (٢) .

قال أعرابي لرسول الله ﷺ : أوصني .

قال : «عليك بتقوى الله ، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك ، فلا تعيره بشيء تعلمه فيه ، يكن وباله عليك وأجره لك ولا تسبن شيئًا» (٣) .

صعد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام المنبر ونادى بصوت مرتفع :

«يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من يتبع عورة أخيه المسلم ، يتبع الله عورته» (٤) .

٦ـ التوبـــة

إذا ثقلت ذنوبك وكثرت سيئاتك ، فتب إلى الله تعالى واستغفره ، متذكرًا متدبرًا عاقلًا قوله سبحانه وتعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨] .

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢] (٥) .

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١] .

---

(١) الترمذي عن ابن مسعود .

(٢) أحمد عن جابر .

(٣) أحمد والطبراني عن أبي جرئ .

(٤) الترمذي عن ابن عمر .

(٥) خطاب سيدنا هود لقومه ، مدرارًا : مطرًا غزيرًا .

واعلم أنك إذا استغفرت الله تعالى من ذنوبك ، وحسنت توبتك ، غفر الله تعالى لك ، وقبل توبتك ، فهو الرحيم الغفور :

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:١ـ٣] .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤] .

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣ـ٥٥] .

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤] .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

[الشورى:٢٥] .

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[النساء:١١٠] .

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧] .

وإيك أن تؤخر التوبة ، فبادر بها قبل فوات الوقت :

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٧، ١٨] (١) .

---

(١) من قريب : بلا تأخير واقرأ أيضًا عن التوبة : التوبة (٣٧) ، هود (٣) ، النحل (١١٩) ، القصص (٦٧) .

واذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (١) .

«لله أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم : يسقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة» (٢) .

«إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها» (٣) .

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (٤) .

ويقول معاذ بن جبل عندما أوفده النبي عليه الصلاة والسلام إلى اليمن :

أخذ بيدي رسول الله ﷺ ، فمشى قليلًا ثم قال :

«أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحم اليتيم ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، ولزوم الإمام ، والتفقه في القرآن ، وحب الأخوة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وإياك أن تشتُم مسلمًا ، أو تصدق كاذبًا ، أو تكذب صادقًا ، أو تعصي إمامًا عادلًا ، وأن تفسد في الأرض يا معاذ .

يا معاذ :

اذكر الله عند كل شجر وصخر ، وأحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية» (٥) .

---

(١) مسلم عن الأغر بن يسار .

(٢) البخاري ومسلم عن أنس ، يسقط : يعثر عليه .

(٣) مسلم والنسائي عن أبي موسى الأشعري .

(٤) ابن ماجه والطبراني عن ابن مسعود .

(٥) البيهقي في كتاب الزهد عن معاذ بن جبل ، لزوم الإمام : صحبة أهل العلم والإيمان أو طاعة إمام المسلمين .

٧ـ التوكل على الله

إذا حَزَب الأمر، وتشعبت المسالك، وضاقت عليك الدنيا، فتوكل على الله واعتصم به، ذاكرًا متدبرًا، عاملًا بقوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥].

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٩].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق:٣].

﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٨، ٥٩].

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

ويأمر الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام بالتوكل على الله فيقول:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل:٧٩].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٣].

واعلم أن الله يعدك باليسر بعد العسر إذا عملت وتوكلت عليه:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥].

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧].

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (١) .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا خرج من بيته قال :

«باسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أعوذ بك أن أضِلّ أو أُضل ، أو أَزِل أو أُزل ، أو أَظْلِم ، أو أُظلَمْ ، أو أَجْهَل أو يُجهل عليَّ» (٢) .

سأل رجل رسول الله ﷺ أترك ناقتي بلا عقال ، وأتوكل على الله ؟ فقال : **«اعقلها ، وتوكل»** (٣) ، أي : اعمل واحتط ثم توكل .

٨ ـ الدعوة للحق

إذا كنت تجاهد في سبيل الحق ولم يصدقك الناس وتكاثرت عليك الأعداء ، فلا تخف ولا تيأس وإن طال انتظارك ، فالنصر حليفك ، واذكر ، وتدبر قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨] .

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء:٩٤] .

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١١، ١١٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] .

واعلم بأن الحق ثابت لا يزول والباطل لا محالة زائل :

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى:٢٤] .

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ [الأنبياء:١٨] .

---

(١) أحمد والترمذي وابن ماجه عن عمر ، خماصًا : جياعًا ، بطانًا : شبعى .

(٢) الطبراني عن بريدة .

(٣) الترمذي عن أنس ، أي اعمل واحتط ثم توكل ، واقرأ أيضًا عن التوكل : آل عمران (١٥٩) ، النساء (١٢٥) ، المائدة (٢٣٥) ، الأنفال (٤٩، ٦١) ، التوبة (١٢٩) ، هود (٥٦) ، الشعراء (٢١٧، ٢٢٠) ، الأحزاب (٣) ، الزمر (٣٨) .

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] .

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس:٣٥] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٣٥] .

ولك أسوة حسنة برسول الله عليه الصلاة والسلام الذي دعا أول الأمر ، فلم يصدقه الناس ، وتكاثرت عليه الأعداء ، فقال له الله تعالى مواسيًا ومعزيًا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة:٤١] .

﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ ﴾ [آل عمران:١٤٤] .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩] .

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء:٢١٤ـ ٢٢٠] .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر:٨] (١) .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام:٣٣ـ ٣٥]

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ [الشورى:٤٨] .

---

(١) أفمن زُين له سوء عمله حسنًا : الخبر محذوف تقديره كمن هداه الله،
لا تذهب نفسك عليهم حسرات : لا تهلكها حسرة عليهم .

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم:٥٢، ٥٣].

ولك أسوة حسنة بسيدنا نوح عليه السلام لما دعا قومه للإيمان فلم يصدقوه فقال لهم : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود:٣٤].

وإياك أن يثنيك الاضطهاد عن الدعوة للحق والخير فمن دعا لهما كان من المفلحين : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«فمن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس» (١) .

ولما تأذى عليه الصلاة والسلام بالناس ، في سبيل الدعوة قال :

«رحم الله أخي موسى ، فقد أوذي أكثر من هذا فصبر» (٢) .

ويبشر الرسول ﷺ من يدعو إلى الهدى بأجر عظيم حيث قال :

«من دعا إلى هدى كان له الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (٣) .

ويهيب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بالمسلم أن يدعو للحق ، حتى لو كره الناس ذلك ، وخشي تألبهم عليه ، فيقول :

«لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه» (٤) .

«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه ، وهو أضعف الإيمان» (٥) .

«أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر» (٦) .

---

(١) الترمذي عن عائشة .
(٢) البخاري ومسلم عن ابن مسعود .
(٣) مسلم وأحمد عن أبي هريرة .
(٤) أحمد والطبراني عن أبي سعيد .
(٥) أحمد ومسلم عن أبي سعيد .
(٦) ابن ماجه عن أبي سعيد .

٩ـ خمر وميسر

إذا حدثك الشيطان بشرب الخمر أو لعب الميسر ، فاذكر وتدبر قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩٠، ٩١] (١) .

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» (٢) .

«لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومُبتاعها وبائعها وعاصرها ومُعتصرها وحاملها والمحمولة إليه» (٣) .

«اجتنبوا الخمر ، فإنها مفتاح كل شر» (٤) .

«الخمر جُماع الإثم» (٥) .

«اجتنبوا الخمر ، فإنها أم الخبائث» (٦) .

«اجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبدًا ، ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه» (٧) .

قال طارق بن سويد الحضرمي لرسول الله عليه الصلاة والسلام :

«إن في أرضنا أعنابًا نعتصرها ، أفنشرب منها ؟ قال : **«لا»** ، فعاودته فقال : **«لا»** ، فقلت : ألا نستشفي بها للمريض ؟ فقال : **«إن ذاك ليس شفاء ، ولكنه داء»** (٨) .

(١) **الأنصاب** : أحجار كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، **الأزلام** : سهام ثلاثة تستعمل للعب الميسر أو القسمة أو التطير ، **رجس** : قذر .

(٢) البخري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .

(٤) رزين عن حذيفة .

(٥) ابن حبان عن عثمان بن عفان .

(٦) ابن حبان عن عثمان بن عفان .

(٧) ابن حبان عن طارق الحضرمي .

(٨) ابن حبان عن خباب بن الأرت .

وشرب الخمر هو أكبر الآثام ، إذ يحذرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : «إياك والخمر ، فإن خطيئتها تفرع الخطايا ، كما أن شجرتها تفرع الشجر» (١) .

«من قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق» (٢) .

«من لعب بنرد أو نرد شير «الطاولة» فقد عصى الله ورسوله» (٣) .

مر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالنرد فقال : «قلوب لاهية ، وأيد عاطلة ، وألسنة لاغية» (٤) .

١٠ـ دعـــاء «شكـــوى»

إذا شكوت من أمر أصابك ، فلا تشكو إلا إلى الله ، وإذا دعوت فلا تدعو إلا الله ، فإنه سميع مجيب ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] .

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:٦٥] .

﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦] .

ولك أسوة حسنة بدعاء الأنبياء والمرسلين :

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم:٤٠، ٤١] .

دعا سيدنا موسى ربه قائلًا :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه:٢٥ـ ٣٢] .

وقوله :

﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص:٢٤] .

---

(١) ابن ماجه عن خباب بن الأرت ، تفرع : تزيد عليها وتعلوها .

(٢) البخاري عن أبي هريرة .

(٣) مالك عن أبي موسى الأشعري .

(٤) البيهقي عن يحيى بن كثير .

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤] .

ودعا سيدنا يونس قائلًا ، كما حكىٰ القرآن الكريم :

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧، ٨٨] (١) .

ودعا سيدنا زكريا ربه قائلًا :

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩، ٩٠] .

واذكر وتدبر قول الرسول الكريم صلوات الله عليه : «**تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء**» (٢) .

«**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء**» (٣) .

«**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة ، إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**» (٤) .

«**إن الله ﷻ يقول : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني**» (٥) .

«**الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات**» (٦) .

«**إن الله رحيم حيي كريم ، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ، ثم لا يضع فيهما خيرًا**» (٧) .

---

(١) مغاضبًا : غاضبًا عني قومه .

(٢) البخاري عن أبي هريرة ، درك : إدراك .

(٣) مسلم وأبو داود عن أبي هريرة .

(٤) الترمذي عن عبادة بن الصامت .

(٥) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٦) الحاكم عن أبي هريرة ، واقرأ أيضًا : دعاء شكوىٰ ، الأنعام (٤) ، المؤمنون (٢٦، ٢٩) ، القمر (١٠) . نوح (٢٨) .

(٧) الحاكم عن أنس .

«سلُوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يُسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج» (١) .

«من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ، فليكثر الدعاء في الرخاء» (٢) .

وادع بما كان يدعو به النبي عليه الصلاة والسلام في صلاة الوتر :

«اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتَوَلَّني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني واصرف عني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا يَذِلُّ من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت» (٣) .

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو في صلاته :

«اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحُسن عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك مما تعلم» (٤) .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا سأل الله حاجة يقول :

«لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سُبحان رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم : لا تَدْع لي ذنبًا إلا غفرته ، ولا همًّا إلا فرَّجته ، ولا حاجة هي لك رضًا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين» (٥) .

وكان إذا غضب عليه الصلاة والسلام أو حلَّ به ضيق ، يقول : «اللهم استر عَوْراتنا وآمن رَوْعاتنا» (٦) .

«اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت» (٧) .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لمن أراد السفر : «في حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ووجهك للخير حيثما توجهت» (٨) .

---

(١) الترمذي عن ابن مسعود .

(٢) الترمذي والحاكم عن أبي هريرة .

(٣) الترمذي والنسائي وأبو داود .

(٤) الترمذي والنسائي عن شداد .

(٥) الترمذي عن عبد الله بن أبي أوفى .

(٦) أبو داود والنسائي عن ابن عمر ضمن حديث طويل .

(٧) أحمد وأبو داود وابن حبان عن أبي بكرة .

(٨) الحافظ من طريق الطبراني .

وكان إذا عزم على السفر يقول :

«الله أكبر ثلاثًا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كُنَّا له مُقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا ، واطْوِ لنا بعده ، اللهم أنا الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل» (١) .

وإذا رجع من السفر أضاف :

«آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون» (٢) .

ومن جامع الدعاء قوله عليه الصلاة والسلام :

«اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارْضَ عنَّا» (٣) .

«اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر» (٤) .

١١ـ الدنيـــا

إذا خفت فتنة الدنيا ، فاعلم أنها لعب ، ولهو وزينة ، وأنها زائلة ولا قرار لها ، وتدبر قوله تعالى :

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤] (٥) .

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾ [الكهف:٤٥] .

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠] (٦) .

(١) مسلم عن ابن عمر .

(٢) مسلم عن ابن عمر .

(٣) الترمذي والحاكم عن عمر بن الخطاب .

(٤) البزار والطبراني عن عبد الله بن عمرو .

(٥) الحيوان: الحياة الحقة .

(٦) حطامًا : هشيماً متكسّرا .

وإياك أن تفتتن بمالك وأولادك ، فتلهيك أو تطغيك :

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال:٢٨] .

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى:٣٦] .

وينذر الله تعالى المفتتنين بالدنيا والمؤثرين لها ، فيقول :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:٣٧ـ٣٩] .

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان:٢٧] (١) .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (٢) .

«أصدقُ كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل» (٣) .

«لِيكْفِ الرجل منكم كزاد الراكب» (٤) .

«ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليَمِّ ، فلينظر بم يرجع» وأشار إلى سبابته (٥) .

مر رسول الله ﷺ بشاة ميتة ، فقال :

«والذي نفسي بيده ، للدنيا على الله أهون من هذه على أهلها» (٦) .

«من كانت الدنيا همَّه ، فرق الله شمله ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له» (٧) .

«من أصبح وهمه في الدنيا ، فليس من الله في شيء ، ومن لم يهتم بالمسلمين فليس

---

(١) هؤلاء : يشير إلى الكافرين واقرأ أيضًا عن الدنيا : البقرة (٢٠٠، ٢١٢) ، آل عمران (١٤، ١٤٥، ١٨٥) ، الشورى (٤٧) ، التوبة (٣٨) ، الإسراء (١٨، ٢١) ، الكهف (٤٥، ٤٦) ، غافر (٣٩) ، النجم (٢٩) ، الأعلى (١٦ إلى ١٩) .

(٢) البخاري عن ابن عمر .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٤) ابن ماجه وابن حبان عن سلمان الفارسي .

(٥) الحاكم عن المستورد بن شداد .

(٦) ابن ماجه والحاكم عن سهل بن سعد .

(٧) الترمذي عن أنس .

منهم ، ومن أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مُكره فليس منا» [١] .

«أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، وحب الدنيا» [٢] .

«لو كان لابن آدم وادٍ من مال ، لابتغى إليه ثانيًا ، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب» [٣] .

ويبين لنا النبي عليه الصلاة والسلام معنى الزهد في الدنيا ، فيقول :

«الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال أو إضاعة المال ، ولكن الزهادة ألا تكون بما في يدك أوثق بما في يدي الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب مما بقيت الدنيا لك» [٤] .

«ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» [٥] .

«يتبع الميت ثلاثة : أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله» [٦] .

«يقول ابن آدم : مالي ، مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت» [٧] .

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين ليأتي بجزيتها ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى وانصرف ، تعرضوا له ، فتبسم حين رآهم ثم قال : «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين» ، فقالوا : أجل يا رسول الله ، فقال : «أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم» [٨] .

---

(١) الطبراني عن أبي ذر .

(٢) البزار عن أنس ، جمود العين : بخلها بالدموع عند وجود ما يستدعي ذلك .

(٣) البخاري ومسلم عن أنس .

(٤) البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف .

(٥) الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر .

(٦) ابن ماجه والطبراني عن سهل بن سعد .

(٧) البخاري ومسلم عن أنس .

(٨) البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف .

«حُب الدنيا رأس كل خطيئة» (١) .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : «مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها» (٢) .

وأخيرًا يُوجهنا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أن في القناعة الغنى كله :

«ليس الغنى من كثرة ، ولكن الغنى غنى النفس» (٣) .

«إذا نظر أحدكم إلى من فَضُل عليه في المال والخلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه» (٤) .

١٢ـ ذكـــر اللـــه

إذا غفلت عن ذكر الله ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٧، ٢٨] .

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا﴾

[الكهف:٢٤] .

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾

[الزمر:٢٣] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

[الأحزاب:٤١، ٤٢] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩] (٥) .

---

(١) البيهقي في الشعب عن الحسن البصري .

(٢) أحمد عن ابن مسعود .

(٣) البخاري عن أبي هريرة .

(٤) الشيخان عن أبي هريرة .

(٥) واقرأ أيضًا عن ذكر الله : الزخرف (٣٦ - ٣٨) ، الحديد (١٦) ، الإنسان (٢٥) .

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«يقول الله تعالى في حديث قدسي : أنا عن ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملأ خير منه» (١) .

«سَبق المُفردون المستهترين في ذكر الله ، يضع الذِّكرُ عنهم أثقالهم ، فيأتون يوم القيامة خفافًا» (٢) .

«أربع من أعطيهن فقد أعطي خَيْرَيِ الدنيا والآخرة :

لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لا تبغيه حَوْبًا في نفسها ولا ماله» (٣) .

«ما عمل ابن آدم عملًا أنجى له من العذاب من ذكر الله» (٤) .

«يقول الله ﷻ في حديث قدسي : أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه» (٥) .

«سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله :

إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ ، ورجل قلبه مُعلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (٦) .

«إن لكل شيء صِقالة ، وصِقالة القلوب ذكر الله» (٧) .

روي عن معاذ أنه سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان ، فقال :

«أن تحب لله وتبغض لله ، ويتحرك لسانك بذكر الله» .

قل : وماذا يا رسول الله ؟

قل : «وأن تُحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك» (٨) .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

(٢) مسلم عن أبي هريرة ، المفردون : المعتزلون عن الناس ، المستهترون : الذين يتظاهرون بالذكر أمام الناس .

(٣) الطبراني والبيهقي عن ابن عباس ، حوبًا : خيانة أو عيبًا .

(٤) أحمد عن معاذ .

(٥) ابن ماجه عن أبي هريرة .

(٦) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٧) ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عبد الله بن عمرو ، الصقالة : ما يزيل الصدأ .

(٨) رواه أحمد .

١٣ـ رحمة اللـــه

إذا ضاقت بك السبل فلا تقنط ، واعلم أن رحمة الله قريبة ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢] .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] (١) .

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٦٣، ٦٤] .

ولتستحق رحمة الله ، كن عبدًا مؤمنًا محسنًا تائبًا إليه ، وتأمل كيف يُحَيِّي الله عباده المؤمنين التائبين ، ويبشرهم بأنه كتب لهم على نفسه الرحمة :

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:٥٤] .

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦] (٢) .

واذكر وتدبر قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

«يقول الله تعالى : سبقت رحمتي غضبي» (٣) .

دخل النبي عليه الصلاة والسلام على رجل وهو في النَّزع ، فقال : «كيف تجدك؟» .

قال الرجل : أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي .

---

(١) روح الله : رحمة الله .

(٢) اقرأ أيضًا : النساء (٨٣) ، الحجر (٥٦) ، التوبة (٢٣) ، الأحزاب (٤٣، ٤٤) ، غافر (٧ـ ٩) ، البلد (١١ - ١٨) .

(٣) مسلم عن أبي هريرة .

قال : «**ما اجتمع لأحد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجاه ، وأمنه مما يخاف**» [١] .

قدم على النبي ﷺ سَبْي ، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي ، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبي ﷺ : «**أترون هذه طارحة ولدها في النار ، وهي تقدر على أن لا تطرحه؟**» ، قلنا : لا .

فقال : «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**» [٢] .

ورحمة الله تعالى وسعت كل مخلوقاته : المؤمن والكافر ، والقريب من الله المستحق لرحمته هو الرحيم بعباده .

«**لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد**» [٣] .

«**الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**» [٤] .

«**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» [٥] .

أقبل رجل على النبي عليه الصلاة والسلام ، عليه كساء ، وفي يده شيء قد التف عليه ، فقال : يا رسول الله ، إني لما رأيتك أقبلت ، فمررت ببعض شجر ، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي ، فكشف لها عنهن ، فوقعت عليهن ، فلففتهن بكسائي فهن أولاء معي .

قال : «**ضعهن عنك**» ، فوضعتهن وأبت أمهن إلا لزومهن .

فقال رسول الله لأصحابه : «**أتعجبون لرحمة الأفراخ فراخها؟**» .

قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : «**فوالذي بعثني بالحق ، الله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن**» ، فرجع بهن [٦] .

---

(١) الترمذي وابن ماجه .

(٢) البخاري عن عمر بن الخطاب .

(٣) الترمذي عن أبي هريرة .

(٤) البزار عن أنس .

(٥) البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله .

(٦) أبو داود عن عامر الرام .

١٤ـ الـــرزق

إذا ضاق رزقك ، فارض بما قسم الله لك ، واعلم أن الرزق بيد الله وهو الرزاق ذو القوة المتين ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [الرعد:٢٦] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٦٠] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣] .

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى:١٩] .

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:٢، ٣] .

وإياك أن تمد عينيك إلى من هم أوسع منك رزقًا :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٢] .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٣١] .

واعلم أن الله قسم الرزق بين عباده بواسع علمه وحكمته :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢] (١) .

---

(١) سخريًا : يُسخر بعضهم بعضًا في شئون الحياة ، واقرأ أيضًا عن الرزق : سبأ (٢٤) ، الشورى (١٩) ، الذاريات (٥٧، ٥٨) ، النجم (٤٨) ، الملك (٢١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (١) .

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (٢) .

مر عليه الصلاة والسلام على ابن مسعود ، وهو حزين ، فقال له :

«لا تكثر همَّك ، ما قُدِّر يَكُن ، وما تُرزَق يأتِك» (٣) .

«أيها الناس : اتقوا الله وأجملوا في الطلب ، فإن نفسًا لن توت حتى تستوفي رزقها ، وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حلَّ ، ودعوا ما حرم» (٤) .

«قد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافًا ، وقنعه الله به» (٥) .

«اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا» (٦) .

«من أصبح آمنًا في سربه ، مُعافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (٧) .

«ليس الغني من كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس» (٨) .

«إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدِّين إلا من يحب ، والذي نفسي بيده : لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه» (٩) .

واستمع لهذا الأدب السامي الذي يؤدبنا به الرسول عليه الصلاة والسلام : «لا تُرضين أحدًا بسخط الله ، ولا تحمدن أحدًا على فضل الله ، ولا تَذُمَّن أحدًا على ما لم

---

(١) أبو داود عن أبي هريرة .

(٢) أحمد والترمذي وابن ماجه عن عمر ، خماصًا : جياعًا ، بطانًا : شبعى .

(٣) البيهقي في القدر عن ابن مسعود .

(٤) ابن ماجه عن جابر .

(٥) الترمذي وأحمد عن عمرو بن العاص ، كفافًا : قليلاً .

(٦) أحمد والترمذي عن أبي هريرة .

(٧) الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن محصن ، سربه : طريقه ، حيزت : جمعت .

(٨) البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، العرض : المال .

(٩) أحمد عن عبد الله بن مسعود ، بوائقه : ظلمه وأذاه .

يُؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حِرْص حريص ، ولا يَرُدّه عنك كُرْه كاره ، وإن الله بقسطه وعدله جعل الروْح والفرج في الرِّضا واليقين ، وجعل الهم والحَزَن في السخط» (١) .

١٥ـ الزنا «الفاحشة»

إذا أغراك الشيطان بارتكاب الفاحشة ، فاكبح جماح نفسك ، وجاهد هواك وشهوتك ، واذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣] (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَٰحِشَةُ فِى الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ ۚ ﴾ [النور:١٩] .

ومن صفات المؤمنين أنهم لا يزنون :

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:٦٨ـ ٧٠] .

ومن صفاتهم أنهم :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:٥ـ ٧] (٣) .

---

(١) الطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود ، **الروح** : الرحمة .

(٢) **الفواحش** : الكبائر كالزنا ، **الإثم** : المعصية .

(٣) **لفروجهم حافظون** : حافظون لها عن الحرام رجالاً ونساءً ، **العادون** : المعتدون ، واقرأ أيضًا عن الزنا : النساء (١٥ ، ١٦) ، النور (٢ ، ٣) ، المعارج (١٩ – ٣٥) .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام:

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[١].

«اضمنوا لي ستًا من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروحكم، وغُضوا أبصاركم، وكُفوا أيديكم»[٢].

«يا فتيان قريش، لا تزنوا، فإن من سلم له سبابه، دخل الجنة»[٣].

«من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان، كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[٤].

«إياكم والفُحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»[٥].

ويخرج الرسول عليه الصلاة والسلام الزاني من زمرة المسلمين فيقول: «ليس منَّا من خبب على امرئ زوجته»[٦].

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) أحمد وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت.

(٣) البيهقي عن ابن عباس.

(٤) الحاكم عن أبي هريرة.

(٥) ابن حبان عن أبي هريرة.

(٦) أحمد عن الحاكم وابن عباس عن بريدة، خبب «بتشديد الباء»: خدع وأفسد.

١٦ـ الـــزواج

إذا كنت متزوجًا فتأدب بآداب الإسلام في المعاملات الزوجية ، وتذكر وتدبر قول الله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] (١) .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل:٧٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] (٢) .

﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٧] (٣) .

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] .

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾ [النساء:٣٤] (٤) .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١] .

واعلم أن المؤمن محب لزوجه وولده ، وبتحلّيه بهذه الصفة يشرفه الله فيجعله من عباده الذين يدعون تعالى فيستجيب لهم :

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٧٤، ٧٥] .

---

(١) **ليسكن إليها** : ليعيش معها في أمن وسكينة .

(٢) **الأرحام** : ذوي الرحم ، أي اتقوا الله في ذوي قرابتكم .

(٣) **ولا تنسوا الفضل بينكم** : خطاب للزوجين ليتصفوا بالفضل في علاقتهما .

(٤) **قوامون** : راعون محافظون عليهم بما فضل الله الرجال من قوة الجسم وبما يلتزمون به من الإنفاق على زوجاتهم ، **قانتات** : مطيعات .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«أكملُ المؤمنين إيمانًا : أحسنهم خُلُقًا ، وخِيارُهم خيارهم لنسائهم» [١] .

«أكملُ المؤمنين إيمانًا : أحسنهم خُلُقًا ، وألطفهم بأهله» [٢] .

«لا تُؤدي المرأة حق ربها ، حتى تؤدي حق زوجها» [٣] .

«إن الله سائلٌ كل راع عما استرعاه : حَفِظ أم ضيَّع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» [٤] .

«لا يفرك مؤمن من مؤمنة ، إن كره منها خُلقًا رضي منها آخر» [٥] .

«الدُّنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» [٦] .

«أربع من أعطيهن فقد أعطي خَيْري الدنيا والآخرة : قلبًا شاكرًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وبدنًا على البلاء صابرًا ، وزوجة لا تبغي حوبًا في نفسها وماله» [٧] .

«تُنكح المرأة : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك» [٨] .

واسلك نهج الرسول عليه الصلاة والسلام في أهله :

سُئلت السيدة عائشة ﵂ : ما كان يصنع النبي في أهله ؟

قلت : كان يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة [٩] .

وتأمل وفاء الرسول عليه الصلاة والسلام لذكرى زوجته أم المؤمنين «خديجة» فقد حدثتنا «السيدة عائشة» ﵂ قالت :

ما غِرْت على أحد من نساء النبي عليه الصلاة والسلام كما غرت على خديجة ، وما لي أن أكون أدركتها ، وما ذلك إلا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ لها ، وإن كان ليذبح الشاة

(١) الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة .

(٢) الترمذي والنسائي عن عائشة .

(٣) ابن ماجه وابن حبان عن ابن أبي أوفى .

(٤) ابن حبان عن الحسن .

(٥) مسلم عن أبي هريرة ، يفرك : بسكون الفاء : يكره ويبغض .

(٦) مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو .

(٧) الطبراني عن ابن عباس ، حوبًا : إثماً .

(٨) البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، تربت يداك : افتقرت إن لم تفعل ذلك .

(٩) البخاري عن عائشة ، في مهنة أهله : في خدمة أهله .

فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن .

وربما قالت له : كان لم يكن في الدنيا امرأة غير خديجة !

فيقول : «**إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد**» (١) .

لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص ، فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة ، ثم قال : «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها الذي لها ؟**» ، فقالوا : نعم ، وكان ﷺ أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب إليه ، وبعث ﷺ زيد بن حارثة ورجلين من الأنصار فقال لهما : «**كونوا ببطن يأجج ، حتى تمرّ بكما زينب ، فتحباها حتى تأتيا بها**» (٢) .

ودخلت على الرسول ﷺ امرأة فهشّ لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان**» (٣) .

١٧ـ الشكـــر

إذا آتاك الله نعمة فكن شاكرًا عليها ، وارْعَ النعمة يحفظها الله لك ، ويزدك من فضله ، وتدبر قوله تعالى :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣] .

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] .

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤] .

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر:٧] (٤) .

---

(١) الشيخان والترمذي عن عائشة .

(٢) أبو داود عن عائشة ، **بطن يأجج** : مكان بين مكة والمدينة .

(٣) الحاكم عن عائشة ، **هش** : تبسم قليلاً .

(٤) **لا تزر وازرة وزر أخرى** : لا يحمل شخص ذنب آخر .

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] .

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] .

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧] .

وتدبر قصة سبأ التي كفرت بأنعُم الله :

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۚ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥ـ١٧] (١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (٢) .

«من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب» (٣) .

«من أعطي شيئًا فوجد فَلْيَجْز به ، ومن لم يجد فليثن به فإن أثنى به فقد شكر ، وإن كتمه فقد كفر» (٤) .

«ثلاث من كن فيه آواه الله في كَنَفه ونشر عليه رحمته ، وأدخله جنته : من إذا أُعطي شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر» (٥) .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر دائم التوبة والشكر لربه ، فقد روي أنه صلى وقام الليل حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : **«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»** (٦) .

---

(١) خمط : مر ، الأثل : نبات لا ثمر له ، السدر : النبق واقرأ أيضًا عن الشكر : سبأ (١٣، ١٥) ، غافر (٦١) ، الملك (١٣) .

(٢) أحمد ومسلم عن صهيب .

(٣) مجمع الزوائد عن عقبة ، وقيل : النعمان بن بشير .

(٤) أبو داود والترمذي عن جابر .

(٥) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .

(٦) مسلم عن المغيرة بن شعبة .

١٨ـ الشهـــادة

إذا حدثتك نفسك ألا تقسط في الشهادة أو تكتمها فاذكر واعمل بقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨] .

واشهد بالحق ولو على نفسك وذويك :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥] (١) .

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾

[الطلاق:٢] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[البقرة:١٤٠] .

﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

[البقرة:٢٨٣] .

﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج:٣٠] (٢) .

وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ، قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : «**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، ألا وشهادة الزور، وقول الزور**» ، وكان متكئًا فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (٣) .

«**إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفُون**» (٤) .

---

(١) **بالقسط** : بالعدل ، **تلووا** : تشهدوا بغير الحق ، **تعرضوا** : تمتنعوا عن الشهادة .

(٢) واقرأ أيضًا عن الشهادة : الفرقان (٧٢) ، المعارج (ـ٣٢ -٣٥) ، البقرة (٢٨٢) .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي بكرة .

(٤) البخاري ومسلم عن عمران بن حصين .

«آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف» [١] .

ويعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن شهادة الزور تعادل الشرك وشاهد الزور تحرم عليه الجنة :

«عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله» ، ثلاث مرات .

ثم قرأ : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [٢] .

«من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه ، حرَّم الله عليه الجنة وأوجب له النار» [٣] .

ووصف الرسول عليه الصلاة والسلام المؤمن بأنه يشهد الحق لله ، وفي الله :

«واخش الله في شهادتك ولا تَخْش الخلق ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر إذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليصمت» .

«المؤمنون شهداء الله في الأرض» [٤] .

«لا يمنعنَّ أحدَكم رهبة الناس أن يقول بحق رآه» [٥] .

«أوصاني ربي أن أقول الحق ، وإن كان مُرًّا» [٦] .

١٩ـ الشيطان

إذا وسوس الشيطان في نفسك فاحش الله ، واعلم أن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر ، ويلهى عن ذكر الله ، ويُمنِّي بالوعود الباطلة ، ويقود إلى مواطن السوء والخسران ، اقرأ وتدبر الآيات الآتية :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١] .

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) أبو داود عن خزيم بن فاتك .

(٣) مسلم والنسائي عن إياس بن ثعلبة .

(٤) البخاري ومسلم عن أنس .

(٥) أحمد والطبراني عن أبي سعيد .

(٦) الطبراني وابن حبان من حديث عن أبي ذر .

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة:١٩] (١) .

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:١١٩، ١٢٠] .

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٩٩، ١٠٠] .

واعلم أن الشيطان لك عدو مبين ، فاحذره :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة:١٦٨، ١٦٩] .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:٥٣] (٢) .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

[فاطر:٦] .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾

[يس:٦٠ـ ٦٢] (٣) .

وإن وسوس الشيطان إليك فاستعذ بالله منه :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٠، ٢٠١] .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾

[المؤمنون:٩٧، ٩٨] .

---

(١) عليهم : إشارة لمنافقي المدينة .

(٢) لينزغ : يثير الشر .

(٣) جبلاً : خَلْقًا .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٦] (١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام اثنين يستبان ، وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، قال : «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**» (٢) .

«**يبعث الشيطان سراياه ، فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة**» (٣) .

«**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» (٤) .

«**ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخًا من نخسه إياه ، إلا مريم وابنها**» (٥) .

وتقول السيدة عائشة ﷺ : خرج رسول الله من عندي ليلًا فغِرْت ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : «**ما لك يا عائشة ؟ أغِرتِ ؟**» ، فقلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك ، قال : «**أفأخذك شيطانك ؟**» ، فقلت : أو معي شيطان ؟ قال : «**نعم**» ، فقلت : مع كل إنسان ؟ قال : «**نعم**» (٦) .

خطَّ الرسول عليه الصلاة والسلام خطًّا ، ثم قال : «**هذا سبيل الله**» ، وخطَّ خطوطًا عن يمينه وشماله ، ثم قال : «**هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» (٧) .

---

(١) واقرأ أيضًا : البقرة (١٦٨، ١٦٩، ٢٦٨) ، آل عمران (١٧٥) ، النساء (١١٥ -١٢٠) ، الأعراف (١٧٥، ١٧٦) ، يوسف (٥) ، الإسراء (٥٣-٦٤، ٦٥) ، الفرقان (٢٩) ، النمل (٢٤) ، محمد (٢٥، ٢٦) .

(٢) البخاري عن سليمان بن صرد .

(٣) مسلم عن جابر .

(٤) البخاري ومسلم عن أنس .

(٥) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٦) أحمد ومسلم عن عائشة .

(٧) أحمد والبزار عن ابن مسعود .

ثم قرأ قوله تعالى :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

«إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم : يأخذ الشاة القاصِيَةَ والشاذة ، وإياكم والشِّعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد» (١) .

٢٠ـ الصـــبر

إذا ضقت ذرعًا بمن أنت فيه وعيل صبرك فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] (٢) .

واعلم أن الله تعالى يبلو خلقه في أموالهم وأنفسهم ليظهر مبلغ صبرهم وقبولهم لقضائه :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] .

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] .

ويبشر الله تعالى الصابرين بمغفرة منه ورحمة وأجر كريم :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥ـ١٥٧] .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:٩ـ١١] .

---

(١) أحمد عن معاذ بن جبل .

(٢) رابطوا : أقيموا على الجهاد .

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦] .

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] .

ولك أسوة حسنة بالنبي عليه الصلاة والسلام ، إذ يأمره الله بالصبر ، فيقول :

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] .

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٥ـ٧] (١) .

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠] .

واعتبر بقصة طالوت وقتاله لجالوت ، وكيف أنه استخلص من جيشه الصابرين المطيعين بامتحان قدرتهم على الطاعة والصبر في يوم شديد الحر ، ظمئ فيه الجند ظمأ شديدًا ، فمنعهم من الشرب من نهر مروا عليه إلا غرفة يد واحدة ، فأطاع الأمر ، وصبر على الظمأ قلة من جيشه ، فسار بهم إلى قتال جالوت ، فهالهم ما هم فيه من عدد وعُدة ، ولكن إيمانهم وطاعتهم وصبرهم مهد لهم النصر على عدوهم :

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٤٩ـ٢٥١] .

ولك أسوة حسنة بسيدنا أيوب عليه السلام :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣، ٨٤] (٢) .

---

(١) إنهم يرونه بعيدًا : أي أن الكفار يرون عذابهم بعيدًا .

(٢) مثلهم معهم : أعطاه ضعف ما كان عنده من مال وعيال .

واعمل بنصيحة سيدنا لُقمان عليه السلام لابنه ، حيث يقول :

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧] (١) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (٢) .

سأل رجال من الأنصار النبي عليه الصلاة والسلام فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتىٰ نفد ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شيء : **«ما يكون من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»** (٣) .

«الصبر نصف الإيمان» (٤) .

«ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها ، إلا آجره الله في مُصيبته ، وأخلف له خيرًا منها» (٥) .

كنت ردف رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال :

«احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا» (٦) .

---

(١) واقرأ أيضًا عن الصبر : البقرة (١٧٧) ، آل عمران (١٨٦) ، يونس (١١) ، هود (١١٥) ، الشورىٰ (٤٣) ، محمد (٣١) ، المزمل (١٠) ، الإنسان (٢٤) ، البلد (١٧) .

(٢) البيهقي عن أنس .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي سعيد .

(٤) البيهقي عن ابن مسعود .

(٥) مسلم عن أم سلمة .

(٦) أحمد عن ابن عباس .

٢١ـ الصمت

إذا خاض الناس في الجدل والنقاش واللغو، فأعرض عنهم، والزم الصمت: تكن من عباد الرحمن، الذين يصفهم الله تعالى بقوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥].

ولئن فعلت لتكونن من المفلحين:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:١ـ٣].

اتعظ بحديث سيدنا موسى لما قال لسيدنا الخضر عليهما السلام:

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٦٦ـ٧٠].

على أن سيدنا موسى عليه السلام لم يستطع الصبر على الصمت، كلما أحدث الخضر عليه السلام أمرًا، كخرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، واعلم أن الإنسان بطبيعته كثير الجدل والخصام، فقاوم هذه الغرائز بفضيلة الصمت.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧].

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤].

واستمع لنصح النبي عليه الصلاة والسلام، حيث يخبرنا أن الصمت أيسر العبادة:

«ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن: الصمت وحُسن الخلق» (١).

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (٢).

وينصحنا الرسول عليه الصلاة والسلام بسجن اللسان:

«والذي لا إله إلا هو: ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان» (٣).

---

(١) ابن أبي الدنيا عن صفوان بن سليم.

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) الطبراني عن عبد الله بن مسعود.

«اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان» (١) .

«أكثر الناس ذنوبًا أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه» (٢) .

«أكثر الناس خطايا ابن آدم في لسانه» (٣) .

«أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل» (٤) .

ويبشر الرسول عليه الصلاة والسلام من يمسك الفضل من قوله :

«طُوبى لمن تواضع من غير منقصة ، وذلَّ في نفسه من غير مسألة ، وأمسك الفضل من قوله» (٥) .

واعلم أن الصمت في موضعه مما يدخل الجنة .

سأل أعرابي النبي عليه الصلاة والسلام : دلني على عمل يدخل الجنة ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : «أطعم الجائع ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانْهَ عن المنكر ، فإن لم تُطق ، فكف لسانك إلا من خير» (٦) .

وإذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه يلقى الحكمة .

٢٢ـ الظلم

إذا حدثتك نفسك بظلم الغير فاذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤١ـ ٣٤] (٧) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠] .

واعلم أن حساب الظالم عسير عندما يقف بين يدي الله :

(١) الطبراني عن أبي سعيد .

(٢) أبو الشيخ في الثواب عن أبي هريرة .

(٣) الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود .

(٤) ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن مسعود .

(٥) الطبراني عن نصيح العنسي .

(٦) أحمد وابن حبان من حديث طويل عن البراء .

(٧) ما عليهم من سبيل : لا عقاب عليهم ولا مؤاخذة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٢، ٤٣] (١) .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [الزمر:٤٧] .

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] .

والمسلم المؤمن لا يحتمل الضيم والظلم ، بل هو مأمور بمقاومته ورده عنه ، ومن يفعل ذلك فقد وعده الله بالنصر :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:٣٨، ٣٩] (٢) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«يقول الله تعالى : يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا ، فلا تظالموا» (٣) .

«إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (٤) .

ويحذرنا النبي عليه الصلاة والسلام من دعوة المظلوم ، فقد أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له : **«اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»** (٥) .

واعلم أن عاقبة الظلم وخيمة ، إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«إن الله ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته» (٦) .

ثم قرأ قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:١٠٢] .

---

(١) **تشخص الأبصار** : لا تغمض العيون هولاً وفزعًا ، **مهطعين مسرعي الخطا ، مقنعي رؤوسهم** : رافعي رؤوسهم إلى السماء من هول الحساب ، **لا يرتد إليهم طرفهم** : لا تغمض عيونهم ، **هواء** : خالية من الفهم لشدة الحيرة .

(٢) **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** : إذن برد الظلم بالقتال ، **بأنهم** : لأنهم .

(٣) مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر .

(٤) ابن حبان عن أبي هريرة .

(٥) البخري ومسلم عن ابن عباس .

(٦) البخري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري .

ويأمرنا الرسول أن نعين قومنا إذا وقع بهم ظلم ، فقد سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟

قال : «لا ، ولكن العصبية أن يُعين الرجل قومه على الظلم» (١) .

كما يأمرنا أن نمنع قومنا عن الظلم ، إذ يقول :

«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» .

قيل : كيف ننصره ظالمًا ؟

قال : **«تحجزه عن الظلم ، فإن ذلك نصره»** (٢) .

«ما من مسلم يخذل مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» (٣) .

وجمع الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك كله في قوله :

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله» (٤) .

٢٣ـ العـــدل

إذا وُليت أمر الناس فإياك أن تحيد عن العدل في حكمك وصلتك بالمحكومين ، وإذا عاملت الغير في بيع أو شراء فكن أمينًا عادلًا في معاملاتك ، واذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] .

ويأمرنا الله بالعدل حتى لو كان الحكم بالعدل لصالح الغريب ضد القريب :

---

(١) ابن ماجه عن واثلة ابن الأسقع .

(٢) البخاري عن أنس .

(٣) أبو داود عن جابر .

(٤) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الأنعام:١٥٢].

ويأمرنا الله تعالىٰ بالعدل حتىٰ لأعدائنا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٨، ٩] (١).

والعدل واجب علىٰ المؤمنين لمن لا يناصبونهم العداء من الكفار:

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم يأمرنا الله تعالىٰ بأن نوفي الكيل والميزان، وليس هذا الأمر قاصرًا علىٰ المعنىٰ المحدود بوفاء البائع، الكيل والوزن للمشتري، بل يجب أن يفهم أيضًا بمعناه الأعم بأن نوفي مت التزمنا به من عقود بصدق وأمانة وعدل، نوفي بعقدنا مع الله تعالىٰ بطاعته واتباع أوامره وبالكف عن نواهيه، نوفي بعقد الزواج فيؤدي الزوج والزوجة حق الآخر، والعامل وصاحب العمل يؤدي كل حق الآخر بصدق وأمانة، والصديق حق الصديق، والحكم حق المحكوم بالعدل والرعاية، والمحكوم حق الحاكم فيما أمر الله، علينا أن نزن حقوقنا وواجبتنا وعلاقاتنا مع الغير بميزان عادل دقيق:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧ـ٩] (٢).

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

[الإسراء:٣٥]

---

(١) **شنآن**: بُغض أو عداوة، واقرأ أيضًا: الأعراف (٧٢).

(٢) **وضع الميزان**: وضع ميزان العدالة السماوية أو ميزان أعمال الإنسان أو الميزان الحسابي الدقيق للأفلاك والأجرام السماوية، **لا تطغوا في الميزان**: لا تتجاوزوا الحد فيه.

وتأمل رسالة سيدنا شعيب عليه السلام لقومه ، ونصحه لهم بالعدل والقسط :

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥] .

وينذر الله بالعذاب والويل والثبور من يأخذ أكثر من حقه ويبخس الغير حقه ، فالبائع الذي يأخذ ثمنًا أكثر مما يستحقه السلعة والزوج الذي لا يعطي زوجته مثل ما يأخذ منها من عطف ومحبة والصديق الذي لا يعطي صديقه من الإخاء والإخلاص مثل ما يأخذ منه والعامل الذي يأخذ من صاحب العمل أكثر مما يعطيه من خدمة وصاحب العمل الذي يطالب العامل بعمل يزيد عن أجره والحاكم الذي يطالب المحكوم بأكثر مما يعطيه من عطف ورعاية :

أولئك جميعًا مطففون ، وينذرهم الله بالويل والعذاب :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:١-٦] (١) .

كان النبي عليه الصلاة والسلام بما آتاه الله من الحكمة والإلهام ، يخشى أن يحكم بغير العدل ، متأثرًا بفصاحة أحد المتخاصمين ، فقد سمع مرة بباب حجرته قومًا يتخاصمون ، فخرج إليهم ، وقال : «**إنما أنا بشر ، وإنه ليأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من نار ، فليأخذها أو ليتركها**» (٢) .

والإمام العادل يظله الله بظله يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه ، ويبشره الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة :

«**أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان ، مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم متعفف ذو عيال**» (٣) .

---

(١) وانظر أيضًا عن العدل في العلاقات هود (٨٤، ٨٥) ، الشعراء (١٨١ - ١٨٣) .

(٢) الستة عن أم سلمـــة .

(٣) مسلم عن عياض بن حمار .

«سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله : اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» [١] .

«أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم مجلسًا : إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم عنه مجلسًا : إمام جائر» [٢] .

وتأمل في عدل رسول الله الذي يطلب من الناس أن يقتصُّوا منه إن وقع منه ظلم على واحد منهم ، فقد صعد على المنبر في مرض وفاته وقال :

«أيها الناس ، من كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالًا فهذا مالي فليستقد منه ، لا يقولن أحد : إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله ، ألا إن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني ، ألا إن أحبَّكم إليَّ من أخذ حقًا كان له ، أو حللني ، فلقيت الله وأنا طيب النفس» ، فقام إليه رجل وقال : يا رسول الله ، إن لي عندك ثلاثة دراهم ! فقال رسول الله : «أما إنَّا لا نكذب أحدًا ، ولا نستحلفه ، فيم صار لك عندي؟» ، قال الرجل : تذكر يومًا مر بك مسكين ، فأمرتني أن أدفعها إليه ؟ فقال : «ادفعها إليه يا فضل» [٣] .

أما عن العدل في المعاملات ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«التاجر الصَّدُوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» [٤] .

ويخاطب النبي عليه الصلاة والسلام أصحاب الكيل والميزان محذرًا بقوله : «إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السابقة قبلكم» [٥] .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) الترمذي عن أبي سعيد .

(٣) أبو يعلى والطبراني عن الفضل بن عباس ، فليستقد منه : ليأخذ حقه منه .

(٤) الترمذي والحاكم عن أبي سعيد .

(٥) الترمذي والحاكم عن ابن عباس .

٢٤ـ العفـــو

وانظر أيضًا «غضب» : إذا أساء الناس إليك ، فاعف واصفح وادفع بالتي هي أحسن ، ذاكرًا متدبرًا قول الله تعالى :

﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩] .

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤] .

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] .

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

ويأمر الله تعالى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بالعفو :

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٩] (١) .

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] .

ولا يأمرنا الله تعالى بالعفو فقط عمن أساء إلينا ، بل بالإحسان إليه ، فربما قلب الإحسان العدو صديقًا .

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥] (٢) .

ولك أسوة حسنة بسيدنا يوسف عليه السلام لما ألقاه إخوته في الجُب والتقطته قافلة مسافرة ، ثم ولي أمر مصر وحضر إخوته للمؤونة منها ، فعرفوه :

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٠] (٣) .

---

(١) عنهم : عن أهل الكتاب .

(٢) وما يلقاها : يوفق إليها .

(٣) لا تثريب : لا لوم .

وكان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ قد أقسم ألا ينفق على قريب له ذي فاقة اسمه «مسطح» ، بعد أن اشترك في حديث الإفك ضد ابنته عائشة ﵂ زوجة الرسول ، فنزلت الآية الكريمة :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢] (١) .

فقال أبو بكر ﷺ عند سماع الآية : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، ثم أعاد على «مسطح» ما كان يصله به .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت لحالفًا عليهن : لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزًا يوم القيامة ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» (٢) .

قال موسى عليه السلام : **«يا رب ، أي عبادك عليك أعز؟»** .

قال : **«الذي إذا قدر عفا»** (٣) .

«ارحموا تُرحموا ، واغفروا يُغفر لكم» (٤) .

«ثلاث من كُن فيه آواه الله في كنفه ، وستر عليه رحمته ، وأدخله في جنته : من إذا أُعطي شكر وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر» (٥) .

---

(١) **لا يأتل** : لا يحلف واقرأ أيضًا عن العفو : البقرة (١٠٩، ٢٣٧) ، آل عمران (١٥٩) ، النساء (١٤٩) ، المائدة (٥٣١) ، الحج (٦٠) ، النور (٢٢) ، الشورى (٢٥) .

(٢) أحمد والبزار عن عبد الرحمن بن عوف .

(٣) الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة .

(٤) أحمد والبخاري عن عبد الله بن عمرو .

(٥) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس ، فتر : هدأ .

٢٥ـ العمـــل

إذا تقاعست على العمل الصالح لله وفي سبيل الله ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥] .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣] .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] .

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١ـ٣] .

واعلم أن الله تعالى قد وعد العاملين في سبيله أن يجزيهم الجزاء الأوفى ، ويحييهم حياة طيبة :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧] .

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢] .

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٤] .

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٢] .

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ:٣٧] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧، ٨] .

واذكر قصة ذي القرنين لما بلغ بين السدين «مكان يقال : إنه بالقرب من بخارى» استنصره أهل هذه المنطقة ليحميهم من القبائل المجاورة «يأجوج ومأجوج من قبائل

المغول» وقالوا له : سنجعل لك أجرًا ، فقال لهم : «لا» ، اعملوا معي وساعدوا أنفسكم ، أحضروا الحديد والنحاس لأجعل بينكم وبينهم ردمًا :

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧-٩٧] (١) .

واذكر أيضًا قصة سيدنا موسى عليه السلام لما أمر قومه بدخول الأرض المقدسة فأبوا :

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٢، ٢٣] (٢) .

أي اعمروا وخذوا زمام المبادرة متوكلين على الله ، فإن فعلتم فأنتم منتصرون .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» .

«**اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك**» (٣) .

ويأمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بالعمل الدائم لكسب معاشنا حلالًا طيبًا ، فهذا ضرب من العمل الصالح :

«**إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**» (٤) .

---

(١) **خرجًا** : جُعْلاً من المال ، ما مكني فيه ربي : أي ما أعطاني من مال وحكمة وقوة خير ، **زبر الحديد** : قطع من الحديد ، **الصدفين** : جانبي الجبلين ، **قطرًا** : النحاس المذاب .

(٢) **قومًا جبارين** : من بقايا قوم عاد واقرأ أيضًا عن العمل : الكهف (٤٦) ، الصافات (٦١) ، الصلاق (١١) ، التين (٦) .

(٣) البيهقي والحاكم عن ابن عباس .

(٤) البخاري ومسلم عن عائشة .

«طلب الحلال واجب على كل مسلم» (١) .

«طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» (٢) .

«والذي نفسي بيده : لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحتطب ، ثم يأتي به فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يسأل الناس ، ولأن يأخذ ترابًا فيجعله في فيه فمه خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه» (٣) .

وقد وضع الرسول عليه الصلاة والسلام العامل لكسب معاشه في صف المجاهدين في سبيل الله ، وبشره بحب الله له .

جاء رجل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام سائلًا : أي الكسب أفضل يا رسول الله ؟ قال : «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» (٤) .

«ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (٥) .

أتى رجل من الأنصار النبي عليه الصلاة والسلام سائلًا ، فقال له : «أما في بيتك شيء؟» ، قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : «ائتني بهما» .

فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : «من يشتري هذين؟» ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله : «من يزيد على درهم؟» ، مرتين أو ثلاثًا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما للأنصاري ، وقال : «اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدومًا فأتني به» ، فأتاه به فشدّ فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال : «اذهب واحتطب وبع ، ولا أريّنك خمسة عشر يومًا» ، ففعل وقد أصاب عشرة دراهم اشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا ، فقال رسول الله ﷺ : «هذا خير من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة» (٦) .

---

(١) الديلمي في مسند الفردوس عن أنس .

(٢) الطبراني عن ابن مسعود .

(٣) أحمد عن أبي هريرة .

(٤) الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمرو .

(٥) البخاري وأحمد عن المقدام .

(٦) البزار عن أنس ، الحلس : كساء غليظ يوضع على ظهر البعير ، فانبذه إلى أهلك : أعطه لأهلك .

ويعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن العمل يجب ألا يقتصر على انتفاعنا الشخصي به ، بل انتفاع الغير منه كالتعليم والإصلاح وحفر الآبار وشق القنوات ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

«سبع تجري للعبد بعد موته ، وهو في قبره : من علم علمًا ، أو كرى نهرًا ، أو حفر بئرًا ، أو غرس نخلًا ، أو بنى مسجدًا ، أو ورث مصحفًا ، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته» (١) .

٢٦ـ العهد

إذا قطعت على نفسك عهدًا فأوف به ، ولا تنقضه ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل:٩١، ٩٢] (٢) .

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٤] .

والوفاء بالعهد من صفات المسلم المؤمن الفالح :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[المؤمنون:١ـ ١١] .

---

(١) أبو داود عن أنس .

(٢) أنكاثًا : شبَّه ناكث العهد بالمرأة التي تنقض غزلها بعد أن أحكمته ، دخلاً : إفسادًا لأموركم ، أربى : أكثر عددًا وقوة ، أي لا تنقضوا عهودكم بسبب ضعف أو قلة عدد من تعاهدتم معهم .

واعلم أن ناكث العهد مكروه ممقوت :

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣] (١) .

واذكر وتدبر قول النبي عليه الصلاة والسلام :

«آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان» (٢) .

«لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» (٣) .

«لا تُمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعدًا فتخلفه» (٤) .

«اضمنوا لي ستًا أضمن لكم الجنة :

اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا اؤتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغُضوا أبصاركم ، وكُفوا أيديكم» (٥) .

٢٧ـ الغضـــب

إذا استثرت فلا تغضب واصبر واصفح ، واعلم أن الصفح واجتناب الغضب من صفات المتقين المؤمنين ، واذكر وتدبر قوله تعالى :

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٣، ١٣٤] .

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٦، ٣٧] .

---

(١) واقرأ أيضًا : آل عمران (٧٧) ، المائدة (١) ، الأنعام (١٥٢) ، الرعد (٣٥) ، المعارج (١٩ -٣٢) .

(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) أحمد وابن حبان عن أنس .

(٤) الترمذي عن ابن عباس .

(٥) أحمد وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت .

واعلم أن الغضب من نزغ الشيطان فاستعذ بالله منه إذا ما ساورك الغضب :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٠، ٢٠١] (١) .

ويوصينا الله سبحانه وتعالىٰ بأن ندفع الغضب بالصبر ، وجهل الناس علينا بالحلم ، فتلك صفة سامية لا يتصف بها إلا من آتاهم الله حظًا وافرًا من الحكمة والتقوىٰ ، فيقول الله تعالىٰ :

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥] (٢) .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من نار ن وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (٣) .

«ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» (٤) .

قال رجل : يا رسول الله ، أوصني ، قال : **«لا تغضب»** ، قال : فلكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله (٥) .

«ثلاث من كن فيه آواه الله في كنفه وستر عليه برحمته ، وأدخله في محبته :

من إذا أعطى شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر (٦) .

إن بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء (٧) .

وبشر الرسول عليه الصلاة والسلام كاظم الغيظ بالأمن والإيمان فيقول :

«من كظم غيظًا وهو قادر على إنفاذه ملأه الله أمنًا وإيمانًا» (٨) .

---

(١) **ينزغنك من الشيطان نزغ** : يثير الشيطان فيك إغراء أو وسوسة .

(٢) **ادفع بالتي هي أحسن** : ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن الخصال ، **ولي** : صديق ، **يلقاها** : يوفق إليها .

(٣) أبو داود .

(٤) البخري ومسلم عن أبي هريرة ، **الصرعة** : الذي يصرع الناس .

(٥) أحمد عن حميد بن عبد الرحمن .

(٦) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس ، **آواه في كنفه** : أحاطه برعايته ، **فتر** : هدأ .

(٧) الترمذي عن أبي سعيد الخدري .

(٨) أبو داود عن رجل من أصحاب النبي ﷺ لم يذكر اسمه .

٢٨ـ القربى

«ذوو القربى ، ذوو الرحم ، الرحم»

إذا مُنيت بأذىٰ أو قطيعة من أهلك وذوي قرباك ورحمك ، فَصِلْهُم ولا تقطعهم ، واذكر وتدبر قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] .

ويقرن الله سبحانه وتعالىٰ الإحسان بالقربىٰ مع الإحسان بالوالدين فيقول جل جلاله :

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء:٣٦] .

ويأمرنا الله تعالىٰ بعد تقواه وخشيته أن نتقي الأرحام ونصلها ولا نقطعها ، فيقول تعالىٰ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] (١) .

ولما أمر الله تعالىٰ الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبث الدعوة الإسلامية ، وجهه إلىٰ أن يبدأ بعشيرته الأقربين ، فبلغهم عليه الصلاة والسلام الرسالة واحدًا واحدًا ، ولما لقي الكثير من أذاهم توسل إليهم بمودة القربىٰ التي تربطه وإياهم ، فيخاطب الله تعالىٰ رسوله الكريم بقوله :

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ:٢٣] (٢) .

ويضع القرآن الكريم ذوي القربىٰ في المرتبة الأولىٰ من المستحقين للصدقات ويعتبر أن ما يعطىٰ لهم ليس تفضلًا بل حقًا فيقول الله تعالىٰ :

---

(١) الجار ذي القربى : الجار القريب جواره ، الجار الجنب : الجار الذي بعد جواره ، الصاحب بالجنب : الرفيق في علم أو عمل أو سفر وقيل : الزوجة .

(٢) عليه : علىٰ الإسلام والإيمان .

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم:٣٨] .

وإن لم تجد ما تقدمه إليهم ، فلتقل لهم قولًا كريمًا حتى يؤتيك الله تعالى وإياهم من فضله :

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٦ـ٢٨] (١) .

ويأمرنا القرآن الكريم أن نحسن إلى ذوي القربى حتى لو بدت منهم الإساءة ، فقد كان لسيدنا أبي بكر ﷺ قريب فقير اسمه مسطح كان يجري عليه رزقًا ، ولما شاع حديث الإفك الذي خاض فيه الناس عن السيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر وزوج الرسول عليه الصلاة والسلام كان مسطح من أكبر مُرَوِّجيه ، فبلغ ذلك سيدنا أبا بكر ، فآلى على نفسه أن يقطع ما يجريه من رزق عليه ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة التي تحض على العفو والمغفرة ، والاستمرار في النفقة رغم إساءته :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢] (٢) .

وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (٣) .

ووضع النبي عليه الصلاة والسلام ذوي الرحم في أولويتهم بعد الأب والأم :

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام : من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : **«أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أبوك ، ثم أدناك أدناك»** (٤) .

وشكا رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقاتل : إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأُحْسِنُ إليهم ويسيئون إليَّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ .

---

(١) ميسورًا : لينًا .

(٢) لا يأتل : لا يحلف .

(٣) البخري ومسلم عن أبي هريرة .

(٤) مسلم عن أبي هريرة ، أدناك : ذو رحمك .

فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» (١) .

ويحضنا الرسول عليه الصلاة والسلام على صلة من أساء إلينا من ذوي الرحم فيقول :

«**ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» (٢) .

«**الرحم متعلقة بالعرش ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله**» (٣) .

«**من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**» (٤) .

ويعلمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأقربين أولى بالمعروف والصداقة ، جاء أبو طلحة إلى الرسول ﷺ ، وكان أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت الآية الكريمة : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ ، قام طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ ، وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فقال رسول الله ﷺ : «**بخ ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» .

فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها طلحة في أقاربه وبني عمه (٥) .

وفي هذا المعنى تقول زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**» ، قالت : فرجعت إلى زوجي فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد ، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة ، فأته فاسأله ، فإن كان ذلك يجزي عني أعطيتها لك ولا أصرفها إلى غيركم ، فقال عبد الله : بل ائتيه أنت ، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها وكان

---

(١) مسلم عن أبي هريرة ، **يجهلون عليَّ** : يسيئون إليَّ ، **المل** : الرماد الحار ، **ظهير** : عون .

(٢) البخاري عن عبد الله بن عمرو .

(٣) البخاري ومسلم عن عائشة .

(٤) البخاري ومسلم عن أنس ، **ينسأ له في أثره** : يؤخر له في أجله .

(٥) البخاري ومسلم عن أنس ، **مستقبلة المسجد** : أمام المسجد ، **بخ** : كلمة تُقال عند الرضا والإعجاب بالشيء ، والمقصود هنا : أحسنت وأصبت .

رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة ، فخرج علينا بلال ، فقلنا له : ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن ، فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله ﷺ : «من هما ؟» ، فقال : امرأة من الأنصار وزينب ، فقال رسول الله ﷺ : «**أي الزيانب هي ؟**» ، قال : امرأة عبد الله بن مسعود ، فقال رسول الله ﷺ : «**لهما أجران أجر القرابة أجر الصدقة**» (١) .

ويوصي عليه الصلاة والسلام بأهل مصر خيرًا ؛ لأن لهم مع العرب ذمة ورحمًا ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

«**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها خيرًا ، فإن لهم ذمة ورحمًا**» ، وفي رواية أخرى : «**ذمة وصهرًا**» (٢) ، وصهر الرحم تنقذ من النار .

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، فقال النبي : «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم**» (٣) .

ويبشر الرسول عليه الصلاة والسلام واصل الرحم بأنه من أهل الجنة : «**أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط ، متصدق ، موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال**» (٤) .

عن أبي ذر قال : أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير : أوصاني ألا أنظر إلى من هو فوق ، وأن أنظر إلى من هو دوني ، وأوصاني بحب المساكين والدنوّ منهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت ، وأوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم ، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرًّا ، وأوصاني أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة (٥) .

---

(١) البخاري ومسلم عن زينب الثقفية زوجة ابن مسعود ، **خفيف ذات اليد** : فقير .

(٢) مسلم عن أبي ذر ، الرحم المشار إليه في الحديث لأن سيدتنا هاجر أم إسماعيل من مصر والصهر لأن السيدة مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله عليه الصلاة والسلام من مصر .

(٣) مسلم عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري .

(٤) مسلم عن عياض بن حمار .

(٥) الطبراني وابن حبان .

٢٩ـ الكبر

إذا أحسست في نفسك الكبر والخيلاء ، فاعلم أن الله لا يحب المتكبر الفخور ، واقرأ وتدبر قول الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦] .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣] .

والمتواضع من عباد الله :

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] .

واقرأ وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ، ونعله حسنًا ، قال : **«إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس»** (١) .

«ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتو جواظ متكبر» (٢) .

«لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا» (٣) .

«إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» .

قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا الثرثارين ، فما المتفيهقون ؟ قال : **«المتكبرون»** (٤) .

«كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرفٍ ولا مخيلة» (٥) .

«ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» (٦) .

---

(١) مسلم والترمذي عن ابن مسعود ، بطر الحق : دفعه .

(٢) البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب ، الجواظ : المتكبر البخيل .

(٣) البخاري وأحمد عن أبي هريرة ، بطر : خيلاء .

(٤) الترمذي عن جابر بن عبد الله .

(٥) الطبراني والحاكم عن ابن عمر .

(٦) الترمذي وابن ماجه وأحمد عن ابن عمرو ، مخيلة : الخيلاء .

«طوبى لمن تواضع في غير منقصة ، وذل في نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالًا جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله» (١) .

«من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» (٢) .

٣٠ـ الموت

إذا خفت الموت ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥] .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨] .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦٠ـ٦٢] .

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف:٢٤] .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت:٥٧] .

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الأحزاب:١٦] .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] .

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة:٨] .

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١١] .

---

(١) مسلم والترمذي عن أبي هريرة .

(٢) الطبراني عن ركب المصري .

واعلم أن النفس المقربة من الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح ينتظرها بعد الموت الخير والسعادة الدائمة :

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢] .

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٨٨ـ ٩١] .

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧ـ ٣٠] .

واذكر قوله عليه الصلاة والسلام :

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (١) .

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» .

فقالت السيدة عائشة ﵂ : أكراهية الموت ، فكلنا يكره الموت !

فرد عليه الصلاة والسلام : **«ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوان جنته أحب لقاءه فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»** (٢) .

كان ابن لإحدى بنات النبي عليه الصلاة والسلام يحتضر ، فأرسلت إلى رسول الله أن يأتيها ، فأرسل لها : **«إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل إلى أجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب»** ، فأرسلت إليه ، فقام ﷺ فلما دخل ناولته الصبي المحتضر ، فبكى رسول الله ﷺ فقيل له : أتبكي يا رسول الله ؟

فقال : **«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»** (٣) .

---

(١) البخاري ومسلم عن ابن عمر .

(٢) البخاري ومسلم عن عائشة ، واقرأ أيضًا عن الموت : آل عمران (٨٥) ، الأعراف (١٤) ، طه (٥٥) ، الأنبياء (٣٤) ، لقمان (٤٤) .

(٣) البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد .

لما سئل النبي عليه الصلاة والسلام : من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : «**أكثرهم ذكرًا للموت وأكثرهم استعدادًا له**» (١) .

ويوصينا الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : «**لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان ولابد فاعلًا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**» (٢) .

«**إذا مات الميت تقول الملائكة : ما قدم ، وتقول الناس : ما خلف**» .

٣١ـ الهجـــرة

إذا أوذيت في دينك أو حُريتك أو مالك ولم تقدر على دفع الأذى وضاقت بك السبل ، فاهجر ، عاملًا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨] .

﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت:٥٦] (٣) .

ويقرع الله القاعدين عن الهجرة المستسلمين للأذى والهوان ورؤية المنكر ، وينذرهم بجنهم وسوء المصير :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٧ـ ١٠٠] .

و وعد الله المهاجر المجاهد في سبيله الفارّ من الظلم والجور بمغفرة ورحمة منه ورضوان وجنات تجري من تحتها الأنهار :

---

(١) الطبراني في الصغير عن ابن عمر .

(٢) البخاري ومسلم عن أنس .

(٣) هذه الآية نزلت في المسلمين من ضعفاء مكة لحضهم على الهجرة حيث تتوافر الحرية والكرامة . ظالمي أنفسهم : باحتمال الأذى والهوان ورؤيتهم المنكر والسوء دون القدرة على تغييره أو الهجرة ، مراغمًا : مخلصًا مهربًا أي أماكن كثيرة للهجرة .

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥] .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:٢٠ـ٢٢] .

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤١] (١) .

واستمع لقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

سأل أبو سفيان الرسول عليه الصلاة والسلام : حدثني يا رسول الله بعمل أستقيم عليه وأعمله ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : «**عليك بالهجرة فإنه لا مثيل لها**» (٢) .

سئل الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : أي الهجرة أفضل ؟

فقال : «**أن تهجر ما كره ربك ﷻ**» .

ثم قال : «**الهجرة هجرتان : هجرة الحاضر ، وهجرة البادي ، فأما البادي فيجيب إذا دُعي ، ويطيع إذا أمر ، وأما الحاضر فأعظمهما بلية وأعظمهما أجرًا**» (٣) .

«**يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن**» (٤) .

ولك أسوة برسول الله عليه الصلاة والسلام : لما اشتد اضطهاد كفار مكة للمسلمين ، نصحهم بالهجرة إلى الحبشة ، وهاجر منهم عدد غير قليل ، فارين بدينهم وحريتهم ، ولما اشتد اضطهاد الكفار له وقست قلوبهم وعميت بصائرهم عن هديه ورسالته ، هاجر هو نفسه إلى المدينة فارًا بدينه ، فكان في ذلك الفتح المبين والنصر المؤزر للإسلام والمسلمين .

«**جاهدوا وهاجروا تُفلحوا**» (٥) .

---

(١) اقرأ أيضًا عن الهجرة : التوبة (٤، ١٠٠) ، الحج (٥٨ -٥٩) ، الحشر (٨، ٩) .

(٢) النسائي عن أبي فاطمة .

(٣) النسائي عن عبد الله بن عمرو .

(٤) البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري .

(٥) الطبراني عن أبي هريرة .

٣٢ـ برُ الوالدين

إذا حدثتك نفسك بعقوق الوالدين أو التقصير في حقهما ، فاذكر وتدبر قول الله تعالى :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤] .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٤، ١٥][١] .

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ۖ وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥][٢] .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«**رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه**» ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : «**من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة**»[٣] .

سأل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود النبي عليه الصلاة والسلام : أي العمل أحب إلى الله ؟

قال : «**الصلاة في وقتها**» .

قلت : ثم أي ؟ قال : «**بر الوالدين**» .

قلت : ثم أي ؟ قال : «**الجهاد في سبيل الله**»[٤] .

---

(١) **الوهن** : الضعف الشديد ، **فصاله** : فطامه .

(٢) **كرهًا** : بمشقة ، وانظر أيضًا عن الوالدين : النساء (٣٦) ، الأنعام (١٥١) ، العنكبوت (٨) .

(٣) مسلم عن أبي هريرة ، **رغم أنفه** : ذل .

(٤) البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود .

سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : «**أمك**» ، قال : ثم من ؟ قال : «**أمك**» ، قال : ثم من ؟ قال : «**أمك**» ، قال : ثم من ؟ قال : «**أبوك**» (١) .

ويأمرنا النبي عليه الصلاة والسلام ببر الوالدين ، حتىٰ لو كانا مشركين :

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ : إن أمها قدمت عليها وهي مشركة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاستفتت النبي عليه الصلاة والسلام قائلة : قدمت عليَّ أمي وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ قال : «**نعم صِلِي أمك**» (٢) .

وقرن النبي عليه الصلاة والسلام عقوق الوالدين بالإشراك بالله :

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ، قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : «**الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين**» (٣) .

٣٣ـ اليتيم

إذا وُليت أمر اليتامىٰ ، فأحسن إليهم ، وارع الله فيهم ، ذاكرًا متديرًا قوله تعالىٰ :

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢] (٤) .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤] .

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:٩ـ١١] .

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١ـ٣] (٥) .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) البخاري عن أسماء بنت أبي بكر ، راغبة : طامعة في شيء مما عندها .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي بكرة .

(٤) لا تتبدلوا الخبيث بالطيب : لا تأخذوا الطيب من أموال اليتامىٰ وتعطوهم بدلاً منه الخبيث من أموالكم ، حوبًا : إثمًا .

(٥) يدع : يدفعه بعنف ويسيء معاملته .

واذكر وتدبر قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» ، أشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما [١] .

«**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه**» [٢] .

عن عائشة ﵂ قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة لتأكلها ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها بنتها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرتُ الذي صنعتْ لرسول الله ﷺ فقال : «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار**» [٣] .

(١) البخاري وأبو داود عن سهل بن سعد .
(٢) ابن ماجه عن أبي هريرة .
(٣) مسلم عن عائشة .

الباب الثالث
الصفـــات
الفصل الأول
صفـــات الفطـــرة

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه على كثير من خلقه ، ورزقه من الطيبات ، وابتلاه بالخير والشر فتنة ، ونفخ فيه من روحه ، ووهبه العقل ، ومن عليه بالرسل والأنبياء ينيرون له طريق الحياة ويهدونه سواء السبيل ، ثم جعله مسئولًا ، إن أحسن فلنفسه وإن أساء فعليها .

والصفات الآتية هي الصفات التي فطر الله الناس عليها كما وردت في القرآن :

١ـ كرمه الله ورزقه وفضله على كثير من خلقه :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] .

٢ـ خلقه الله تعالى في أحسن تقويم : خلقًا وخُلقًا وعقلًا :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:٦ـ١٢] (١) .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين:٤ـ ٦] (٢) .

٣ـ نفخ الله فيه من روحه :

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:٦ـ ٩] (٣) .

---

(١) **فعدلك** : جعلك معتدلاً متناسب الأعضاء ، **ركبك** : صورك في الصورة التي أرادها ، **كرامًا كاتبين** : موكل يحفظونكم ويكتبون ما تفعلون .

(٢) **تقويم** : في أحسن صورة ، **سافلين** : ثم انحط إلى أسفل درك بعمله وعصيانه .

(٣) **مهين** : حقير .

٤ـ استخلفه الله تعالى في أرضه :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] .

٥ـ مكنه الله تعالى في الأرض :

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠] .

٦ـ الصالحون منهم يرثون الأرض :

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] .

٧ـ مسئول :

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١١] .

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف:٢٩] .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦] (١) .

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم:٣٩ـ٤١] .

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨] .

٨ـ فقير إلى الله :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] .

٩ـ خُلق في كبد :

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:١ـ٤] (٢) .

١٠ـ مبتلى من الله تعالى :

يبتليه بالخير والشر فتنة ، ليعجم عوده ويبين الغث من السمين ، والمؤمن الصابر من الكافر الجزوع :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٢، ٣] .

---

(١) لا تقف : لا تتبع .

(٢) البلد : مكة ، في كبد : خلق ليجاهد ويعمل .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥] .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:٣١] .

الفصل الثاني

صفات الغافلين

من الناس من استذله الشيطان وملك زمامه ، فغفل قلبه عن الإيمان ، فتغيرت فطرته السليمة التي فطره الله عليها واتصف بالصفات الآتية ، التي نسأل الله أن يجنبنا إياها :

١ـ يحب الشهوات من النساء والبنين والمال :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران:١٤] (١) .

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] .

٢ـ يلهيه التكاثر :

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:١ـ٨] (٢) .

٣ـ باغ لو مَنَّ الله عليه :

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق:٦، ٧] .

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى:٢٧] .

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ [القصص:٧٦] .

---

(١) المسومة: المميزة عن غيره بعلامة لأصلها ونوعها الجيد ، الحرث : الزرع .

(٢) ألهاكم : شغلكم ، التكاثر : التباهي بالكثرة ، حتى زرتم المقابر : حتى متم ، النعيم : يسأل الناس عما انتفعوا به في الدنيا إن كان حلالًا أو حرامًا .

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤] (١) .

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٢٣] .

٤ـ يحب العاجلة ويذر الآخـــرة :

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القيامة:٢٠، ٢١] .

٥ـ شحيـح قتـــور :

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٢٨] .

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠] .

٦ـ ضعـيف :

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨] (٢) .

٧ـ عجـول :

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس:١١] (٣) .

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١] .

٨ ـ معرض إذا أنعم الله تعالى عليه ، يؤوس كفور إذا مسه الضر :

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢] .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود:٩] .

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧] .

---

(١) الخلطاء : الشركاء .

(٢) الشح : البخل الشديد ملازم النفس .

(٣) كان الناس يطالبون النبي عليه الصلاة والسلام بالشرك كأن يسقط عليهم حجارة من السماء كما كانوا يطالبون أحيانًا بالخير .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾ [الحج:١١ـ١٣] (١) .

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [الروم:٣٣] .

﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ [الروم:٣٦] .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق:٦، ٧] .

٩ـ فرح فخور إذا ذاق النعمة :

﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾

[هود:١٠، ١١] (٢) .

١٠ـ لا يشكـــــر :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يونس:٦٠] .

﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣] (٣) .

١١ـ كثير الجـــدل :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [الحج:٣] .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [الحج:٨] .

﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ [الكهف:٥٤] .

١٢ـ خصيم مبين :

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ [يس:٧٧] .

---

(١) حرف : غير ثابتين في إيمانهم ، العشير : الصديق .

(٢) اقرأ أيضًا : المؤمنون (٥٣)، الروم (٣٦) ، غافر (٨٣) .

(٣) واقرأ أيضًا : النمل (٧٣) ، العاديات (١ـ٨) .

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٨] .

١٣ـ ظالم نفسه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [يونس:٤٤] .

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾ [الكهف:٣٥] .

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ [إبراهيم:٣٤] .

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٢١٧] .

١٤ـ جهول :

﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب:٧٢] (١) .

١٥ـ نفسه أمارة بالسوء :

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف:٥٣] (٢) .

١٦ـ لم يؤت إلا قليلاً من العلم :

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء:٨٥] .

١٧ـ غافل لاهٍ :

﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾ [الأنبياء:١ـ٣] (٣) .

﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٣] .

١٨ـ يتبع الشيطان :

﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [سبأ:٢٠، ٢١] (٤) .

---

(١) **الأمانة** : مسؤولية التمييز بما واتاه الله من عقل وهداية على يد الرسل بين الخير والشر ، فإن سار على الخير رفع إلى أعلى عليين وإن اختار الشر سقط إلى أسفل سافلين .

(٢) قول سيدنا يوسف عليه السلام إلى الرسول الذي بعث به الملك إليه .

(٣) محدث : جديد ، النجوى : أسروا ما يتحدثون به .

(٤) واقرأ البقرة (١٠٢) .

١٩ـ هلـــوع :

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩] (١) .

٢٠ـ جـــزوع :

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج:٢٠] (٢) .

٢١ـ منـــوع :

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج:٢١] .

٢٢ـ في خســـر :

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١ـ٣] .

(١) هلوعًا : لا صبر له .

(٢) جزوعًا : يؤوسًا .

الفصل الثالث

صفات المنافقين

١ـ من الناس من يظهر غير ما يبطن ، يدعي الإيمان وهو غير مؤمن ، يبيت في نفسه غير ما يقول ، ويدعي محبة المؤمنين ، وهو يضمر لهم العداء مذبذب مخادع :

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:٨ـ١٦](١) .

٢ـ والمنافق محروم من نعمة الإسلام ونور الإيمان ، والنور الذي يهتدي به لا دوام له ولا بقاء ، وقد شبهه القرآن الكريم بالنار التي تضيء ما حولها ثم ما تفتأ أن تخبو ويعود الظلام ، أو كالبرق الذي يضيء الطريق برهة ثم يعود للظلام ، أما نور الإسلام والإيمان واليقين فمقره القلب ، مضيء دائمًا ينير الطريق للمؤمنين فيسير على هديه على صراط مستقيم :

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٧ـ ٢٠](٢) .

---

(١) نزلت هذه الآية في المنافق عبد الله بن أُبي ، كان إذا لقي أصحاب الرسول الخلفاء الراشدين كال لهم المدح والثناء ، ثم إذا خلا بأصحابه قال : هكذا تردون السفهاء عنكم فنزلت الآية الكريمة .

(٢) مثلهم : مثل المنافقين ، كصيب : السحاب .

٣ـ والمنافق يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ويصد عن سبيل الله :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١] .

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧] (١) .

٤ـ والمنافق مذبذب ، يبيِّت في نفسه غير ما يقول ، ويحلف على الكذب :

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:٨١] (٢) .

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢، ١٤٣] .

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:١، ٢] (٣) .

٥ـ والمنافق في قبضة الشيطان ، يُسَيِّره كيف يشاء ويلهيه عن ذكر الله :

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة:١٩، ٢٠] (٤) .

٦ـ ويكشف الله تعالى جبنهم وتقاعسهم عن القتال وتثبيطهم المؤمنين عن الجهاد حيث يقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ

---

(١) ويقبضون أيديهم : أشحاء .

(٢) طاعة : أطعنا ، يبيت : أضمر .

(٣) جنة : وقاية .

(٤) استحوذ : استولى ، يحادون : يعادون .

ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر:١١-١٣] (١).

وتأمل وصف القرآن الرائع لهم في وقعة الخندق :

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٨، ١٩] (٢).

وفي غزوة تبوك تقاعس المنافقون عن الخروج مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأذن لبعضهم في التخلف ، فنزلت الآية الكريمة :

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ۖ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة:٤٣-٤٧] (٣).

٧- ويصف القرآن الكريم مظهرهم بأنه غش وكذب :

يعجب المرء شكلهم وقولهم ، ولكن قلوبهم خاوية وإيمانهم ضعيف :

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون:٤، ٥] (٤).

---

(١) ليولن الأدبار : يفرون هاربين .

(٢) المعوقين : المثبطين ، هلم إلينا : انضموا إلينا في عدم الخروج إلى القتال ، البأس : القتال ، سلقوكم : طعنوكم .

(٣) انبعاثهم : خروجهم للقتال ، خبالاً : فسدًا ، يبغونكم الفتنة : لأسرعوا بينكم بالفتنة .

(٤) خشب مسندة : شبه المنافقين بالأخشاب لأنه ملا روح ولا إيمان لهم ، هم العدو : لجبنهم وسوء نيتهم ، يؤفكون : يصرفون عن الحق .

وكان الأخنس بن شريق أحد منافقي المدينة حسن القول والمنظر ، أظهر الإسلام ، ولكنه خرج يومًا فأحرق زرع المسلمين وشرب الخمر ، فذكر الله أمره في هذه الآية الكريمة :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٤ـ٢٠٦] (١) .

٨ - والمنافق يتخذ الكافر وليًا وصديقًا وحميمًا :

ويقرنه الله تعالى مع الكافر في العذاب ، فيقول الله تعالى :

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٣٨، ١٣٩] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠] .

٩ـ وينادي المنافقون المؤمنين يوم الحساب فيقولون :

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحديد:١٤، ١٥] (٢) .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

«**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف**» (٣) .

«**تجدون شر الناس ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه ، ويأتي هؤلاء بوجه**» (٤) .

---

(١) **ألد الخصام** : الخصومة الشديدة ، **الحرث والنسل** : الزرع والولد ، **أخذته العزة بالإثم** : حملته العزة على ارتكاب الإثم ، **فحسبه جهنم** : جزاؤه جهنم .

(٢) **ينادونهم** : ينادي المنافقون المؤمنين ، **هي مولاكم** : هي أولى بكم واقرأ أيضًا : النساء (٨١، ٨٣، ٨٩) ، العنكبوت (١٠، ١١) ، المجادلة (١٤ -٢١) .

(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٤) البخاري ومسلم ومالك عن أبي هريرة .

الفصل الرابع

صفات الكافرين

ومن الناس من هم في الدرك الأسفل لا يؤمنون بالله ولا برسوله ، يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، استحوذ عليهم الشيطان وألهاهم الأمل واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، ضل سعيهم في الحياة الدنيا ولهم سوء العذاب .

نسأل الله أن يجنبنا أخلاقهم الذميمة السيئة ، وفيما يلي بعض صفاتهم :

١ـ لا يؤمنون بالله ، ويعبدون ما لا يضرهم ولا ينفعهم واتخذوا هواهم إلهًا :

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣] .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان:٥٥] (١) .

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

[الفرقان:٤٣، ٤٤] .

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] .

٢ـ صم بكم عمي ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم :

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ﴾ [الإسراء:٤٦] (٢) .

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[البقرة:٧] .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾

[الأعراف:١٧٩] .

---

(١) ظهيرًا : نصيرا .

(٢) أكنة : أغطية تحول دون فهمهم القرآن الكريم ، وقرًا : ثقلاً يحول دون سماعهم القرآن الكريم .

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون:٦٣] (١) .

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤] (٢) .

٣ـ وليهم الشيطـــان :

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] (٣) .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣] (٤) .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥، ١٧٦] (٥) .

٤ـ حريصون على الحياة يطمئنون إليها ويؤثرونها على الآخرة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧، ٨] .

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم:٢، ٣] (٦) .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل:١٠٧، ١٠٨] .

---

(١) في غمرة : في غفلة .

(٢) وهو عليهم : القرآن الكريم .

(٣) الطاغوت : الشيطان .

(٤) تؤزهم أزا : تغريهم إغراء شديدًا .

(٥) فانسلخ : كفر بآيات الله ، أخلد : بقي لاصقًا بالأرض كناية عن تمسكه بالدنيا ومادتها وقصره عن السمو بنفسه بسبب كفره ، يلهث : إن تطرده يخرج لسانه إعياء وتعبًا ، أي أنهم لا يفقهون شيئًا ، وفي شقاء روحاني دائم .

(٦) يبغونها عوجًا : يتمنون العوج للإسلام والمسلمين .

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة:٢١٢] .

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر:٣] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران:١٠] .

وتأمل في نظرة الكافرين للحياة المادية وحرصه عليها وكفره بأنعم الله :

يضرب الله تعالى لنا في كتابه الكريم مثل الكافر الذي كان له بستانان من أعناب حُفا بنخل يجري بينهما نهر ، وآتى كل بستان أكله :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ [الكهف:٣٢ـ٣٤] (١) .

فاغتر الكافر بجنتيه وفرح بهما وظن أن هذا من عمله ، ونسي أن الله هو الخلاق الرزاق ذو القوة المتين وكفر بالساعة وبأنعم الله ، وأخذ يباهي صاحبه المؤمن بماله وولده وغناه ويقول له :

﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف:٣٤ـ٣٦] (٢) .

فيرد عليه صاحبه المؤمن ملقيًا عليه درسًا في الإيمان ، ومنذرًا إياه بعاقبة كفره فيقول :

﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ [الكهف:٧٣ـ ٤١] (٣) .

---

(١) رجلين : رجل مؤمن ورجل كافر ، لأحدهما : للكافر ، جنتين : بستانين ، لم تظلم : لم تنقص .

(٢) ظالم لنفسه : مفتخر عليها ، منقلبًا : مرجعًا .

(٣) لكنَّا : لكن أنا أقول ، ولولا : هلا ، حسبانًا : صواعق ، زلقًا : تصبح أرضًا قاحلة لا شيء عليها .

ثم يحل بالكافر غضب الله وعقابه :

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف:٤٢ـ ٤٤] (١) .

٥ـ أعمالهم لا قيمة لها ، فهي كالرماد تذروها الرياح ، أو كالسراب الكاذب :

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:١٨] (٢) .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٣٩، ٤٠] (٣) .

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٣ـ ١٠٥] (٤) .

٦ـ ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، وما ينفقونه هالك :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦] .

﴿مَّثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٧] (٥) .

---

(١) أحيط بثمره : أهلكت بستانيه وثمارها .

(٢) في يوم عاصف : عمل الكافرين كرماد ذهبت عليه ريح عاصفة فذهبت به ، أي أن أعمالهم تذهب هباء .

(٣) قيعة : أرض مستوية ، شبه أعمال الكافر بالسراب الكاذب والسراب انعكاس الضوء بصور حالة مريبة كاذبة والمؤمن يتبع النور الإلهي الذي يهدي للخير والحق أما الكافر فيجري وراء السراب يؤدي به في النهاية إلى الضلال ، لجي : عميق ، شبه الكافر المحروم من النور الإلهي نور الإيمان بشخص في ظلام دامس فهو يجري تارة خلف ضوء كاذب كالسراب وتارة يقع في ظلمات بعضها فوق بعض .

(٤) ضل سعيهم : ضاع سعيهم ، يحسنون صنعًا : يحسبون أنهم على حق .

(٥) ريح فيها صر : برد أو حر شديد ، حرث : زرع .

٧ـ دائمون على إفساد أمور المؤمنين ، خير المؤمنين يسوؤهم ومصيبتهم تفرحهم :

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥] .

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠] .

٨ـ مأواهم النار وبئس المصير :

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان:١١ـ ١٤] (١) .

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۖ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٤، ٥٥] (٢) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:٩١] (٣) .

(١) **أعتدنا** : أعددنا ، **سعيرًا** : نارًا متأججة ، **تغيظًا وزفيرًا** : صوت النار المتأججة كأنه صوت المغتاظ الذي يزفر أي يخرج نفسه من صدره .

(٢) **يستعجلونك بالعذاب** : خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام بأن الكافرين يستعجلونك بنزول العذاب ولو علموا لأدركوا أنهم في الدنيا في عذاب نفسي وفي الآخرة سيحيق بهم العذاب من كل مكان .

(٣) وانظر أيضًا : النساء (١٠٢) ، المائدة (٥٢، ٥٨) ، الأعراف (٥) ، يونس (٤، ٢٧، ٦٩، ٧٠) .

الفصل الخامس

صفات المؤمنين

من الناس من أنار الله بصيرته وحبب إليه الإيمان ، فاحتفظ بفطرته السليمة التي فطره الله عليها ، فسار على نهج المؤمنين واتصف بصفاتهم فإذا أردت السعادة في الدنيا والآخرة فكن مؤمنًا متصفًا بصفات المؤمنين ، عاملًا بقوله تعالى :

١ـ النصوص القرآنية :

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:١ـ٥] .

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران:١٦،١٧] (١) .

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣ـ١٣٦] (٢) .

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦] .

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران:١٩٠، ١٩١] .

---

(١) بالأسحار : وقت بدء ضوء النهار .

(٢) ظلموا أنفسهم : ارتكبوا الذنوب والآثام .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة:٥٤] .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

[الأنعام:٨٢] .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

[الأنفال:٢ـ٤] .

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١] (١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:١١١، ١١٢] (٢) .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:١٩ـ٢٢] .

﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٧، ٢٨] .

---

(١) لم يلبثوا : لم يخلطوا .

(٢) السائحون : الصائمون أو المجاهدون .

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

[المؤمنون:١-١١] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١] .

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٧] .

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٧٦] (١) .

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٥،١٦] .

---

(١) هونًا : بتواضع ، قوامًا : وسطًا .

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[الزمر:١٧، ١٨] (١).

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر:٢٢].

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٦ـ٣٩] (٢).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد:٣].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩] (٣).

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾

[الحجرات:٧].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٥ـ١٩].

---

(١) الطاغوت: الأصنام والأوثان.

(٢) ينتصرون: يدافعون عن أنفسهم.

(٣) شطئه: النبات الجديد الذي يخرج من ساق الشجرة، فآزره: قواه.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف:١٤] .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾

[المعارج:١٩ـ ٣٥] (١)

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:١١ـ ١٨] (٢) .

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١ـ ٣] .

٢ـ صفات المؤمنين موزعة على أربعة أبواب رئيسية :

نوجز فيما يلي صفات المؤمنين كما وردت في كتاب الله الكريم ، موزعة على أربعة أبواب رئيسية هي :

أ ـ الإيمـــــان .

ب ـ الصلاة والعبادات .

ج ـ الجهاد بالمال والنفس .

د ـ آداب السلوك والمعاملات .

فاعمل على أن تكون متحليًا بها ، تفز في الدنيا والآخرة .

---

(١) هلوعًا : سريع الجزع وشديد الحرص .

(٢) مسبغة : جوع .

أ ـ الصفات المتعلقة بالإيمان :

يؤمنون بالغيب ، يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك «خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام» ، بالآخرة هم يوقنون ، إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ، يستغفرون لذنوبهم ولا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون ، لا يَهِنون لما يصيبهم في سبيل الله ولا يضعفون ، لا يستكينون ، يتفكرون في خلق السماوات والأرض ، يحبهم الله ويحبونه ، ولا يلبسون إيمانهم بظلم ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا ، وعلى ربهم يتوكلون ، تائبون ، يخشون ربهم ، يخافون سوء الحساب ، تطمئن قلوبهم لذكر الله ، من خشية ربهم مشفقون ، بآيات ربهم يؤمنون ، بربهم لا يشركون ، يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ، يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ، شرح الله صدورهم للإسلام فهم على نور من ربهم ، يستجيبون لربهم ، يتبعون الحق من ربهم ، يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا ، حبب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، آخذين ما آتاهم ربهم ، كتب في قلوبهم الإيمان ، يؤيدهم الله بروح منه ، يصدقون بيوم الدين ، من عذاب ربهم مشفقون ، يطيعون الله ورسوله ، يستغفرون بالأسحار ، إذا ذُكروا بآيات ربهم يخروا عليها صمًا وعميانًا ، يقولون : ربنا اصرف عنَّا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا .

ب ـ الصفات المتعلقة بالصلاة والعبادات :

يقيمون الصلاة ، في صلاتهم خاشعون ، على صلواتهم يحافظون ، على صلاتهم دائمون ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، إذا ذُكرو بآيات ربهم خروا سجدًا ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، قليلًا من الليل ما يهجعون ، يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ، يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ، يسبحون بحمد ربهم ، يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ، عابدون ، سائحون ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

ج ـ الصفات المتعلقة بالجهاد والمال والنفس :

مما رزقناهم ينفقون ، ينفقون في السراء والضراء ، يؤتون الزكاة ، يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ، يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، في أموالهم حق للسائل والمحروم ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون .

د ـ الصفات المتعلقة بآداب السلوك والمعاملات :

صابرون ، كاظمون الغيظ ، إذا ما غضبوا هم يغفرون ، صادقون ، قانتون ، يُوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، لأماناتهم وعهدهم راعون ، بشهاداتهم قائمون ، عافون عن الناس ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، حافظون لحدود الله ، بعضهم أولياء بعض ، يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أمرهم شورى بينهم ، رحماء بينهم ، المؤمنون إخوة ، أنصار الله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا يوادون من حاد الله ورسوله ، حامدون، يدرءون بالحسنة السيئة ، لفروجهم حافظون ، لا يزنون ، يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، يتواصون بالصبر ، يتواصون بالرحمة ، يتواصون بالحق ، إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، أشداء على الكفار، لا يستكبرون ، لا يشهدون الزور ، إذا مروا باللغو مروا كرامًا ، يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ، يمشون على الأرض هونًا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلامًا ، إذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، لا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق .

٣ـ ما ورد في الحديث عن صفات المؤمنين :

هذا وتدبر صفات المؤمنين كما بينها لنا سيد المرسلين ، وزين نفسك بها ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

«عجبًا لأمر المؤمن ، أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (١) .

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق إنسان حين يسرق وهو مؤمن» (٢) .

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : إذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليسكت» (٣) .

«سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا

---

(١) مسلم عن صهيب .
(٢) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .
(٣) مسلم عن أبي هريرة .

عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (١) .

«اضمنوا لي ستًا أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا اؤتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكُفوا أيديكم» (٢) .

«ثلاث من كن فيه آواه الله في كنفه وستر عليه برحمته وأدخله في محبته : من إذا أعطى شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر» (٣) .

«المؤمنون شُهداء الله في الأرض» (٤) .

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله» (٥) .

«طُوبى لمن تواضع في غير منقصة ، وذل في نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالًا جمعه من غير معصية ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طُوبى لمن كان كسبه حلالًا ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، طُوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله» (٦) .

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» (٧) .

«المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» (٨) .

«المؤمن أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» (٩) .

«المؤمن يألف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ويُؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس» (١٠) .

---

(١) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .
(٢) أحمد وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت .
(٣) الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .
(٤) البخاري عن أنس .
(٥) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .
(٦) الطبراني عن ركب المصري .
(٧) الترمذي والنسائي عن أبي هريرة .
(٨) الطبراني عن حبيب بن حراش .
(٩) ابن ماجه عن فضالة بن عبيد .
(١٠) الدار قطني في الأفراد والضياء عن جابر .

«المؤمن منفعة ، إن ماشيته نفعك ، وإن شاورته نفعك ، وإن شاركته نفعك ، وكل شيء من أمره منفعة» (١) .

«ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٢) .

«إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» ، وشبك الرسول عليه الصلاة والسلام أصابعه (٣) .

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» (٤) .

«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم» (٥) .

«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وخيارُكم خياركم لأهله» (٦) .

سأل مُعاذ بن جبل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان ؟ قال : «أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله» .

قال : وماذا ، يا رسول الله ؟

قال : «أن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك» (٧) .

«والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه» (٨) .

«خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق» (٩) .

---

(١) أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر .
(٢) البخاري عن النعمان بن بشير .
(٣) البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي موسى الأشعري .
(٤) البخاري ومسلم عن أحمد عن ابن عمر .
(٥) مسلم وأبو داود عن أبي هريرة .
(٦) الترمذي وأبو داود عن أبي هريرة .
(٧) أحمد عن معاذ بن جبل .
(٨) أحمد عن ابن مسعود .
(٩) الترمذي عن أبي سعيد الخدري .

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير» [١] .

ويبين لنا الرسول عليه الصلاة والسلام الصفات التي ترفع المؤمن إلى أعلى عليين فيقول :

«إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله» ، قالوا : يا رسول الله ، فخبرنا عنهم ؟

قال : «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إلى حزن الناس » ، وقرأ الآية الكريمة [٢] : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] .

٤ـ جـــزاء المؤمنـــين :

في أغلب الآيات الكريمة التي يصف بها الله تعالى المؤمنين ، نجد ذكرًا لما ينالهم من جزاء وخير ، وفيما يلي ما يستخلص من معاني هذه الآيات :

١ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦] .

٢ـ ﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] .

٣ـ ﴿لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢] .

٤ـ ﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٧١] .

٥ـ ﴿لَهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٤] .

٦ـ ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] .

٧ـ ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:١٨] .

٨ـ ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] .

٩ـ ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧] .

---

(١) مسلم وأحمد من حديث طويل عن أبي هريرة .

(٢) أبو داود عن عمر .

١٠ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨] .

١١ـ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤] .

١٢ـ ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال:١٢] .

١٣ـ ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [آل عمران:٥٧] .

١٤ـ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨] .

١٥ـ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨] .

١٦ـ ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦] .

١٧ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب:٤٣] .

١٨ ـ لهم العزة : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] .

١٩ـ لهم الرفعة : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] .

٢٠ـ ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٧] .

٢١ـ ﴿ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١٩] .

٢٢ـ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨] .

٢٣ـ المقربون من الله يستغفرونه لهم ويدعونه أن يقيهم السيئات وأن يدخلهم عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم :

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر:٧ـ٩] .

٢٤ـ كفر الله عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٢] .

٢٥ـ أنزل الله سكينته عليهم وألزمهم كلمة التقوىٰ : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦] .

٢٦ـ القرآن هدىٰ وشفاء : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ﴾ [فصلت:٤٤] .

٢٧ـ أنعم الله عليهم : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] .

٢٨ـ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠، ١١] .

زينن الله بصفاتهم وآتانا أجرهم . ... آمين .

(١) فهرس أسماء الله الحسن

أ الله - الأول - الآخـر

ب البارئ - الباسط - البصير - الباعث - الباطن - البر - البديع - الباقي .

ت التـــواب

ج الجبـار - الجليل - الجامـع

ح الحكم - الحليم - الحفيظ - الحسيب - الحكيم - الحـق - الحميـد - الحـي.

خ الخالق - الخافض - الخبير

ذ ذو الجلال والإكرام

ر الرزاق - الرافع - الرقيب - الرؤوف - الرشيد - الرحمن - الرحيم

س السلام - السميع

ش الشكـــور - الشهيـد

ص الصمد - الصبور

ض الضـــار

ظ الظاهـــر

ع العزيـز - العليم - العدل - العظيم - العلي - العفو

غ الغفار - الغفور - الغني

ف الفـــتاح

ق القدوس - القهار - القابض - القوي - القيوم - القادر

ك الكبير - الكريم

ل اللطيف

م الملك - المؤمن - المهيمن - المتكبر - المصور - المعز - المذل - المقيت - المجيب - المجيد - المتين - المحصي - المبدئ - المعيد - المتعالي - المنتقم - مالك الملك - المقسط - المغني - المانع - المحيي - المميت - الماجد - المقتدر - المقدم - المؤخر

ن النافع - النور

هـ الهادي

و الوكيل - الواسع - الودود - الولي - الواجد - الواحد - الوالي - الوارث - الوهاب

(٢) فهرس صفات المؤمنين

نوجز منها فيما يلي صفات المؤمنين حسب ورودها في القرآن الكريم

١	يؤمنون بالغيب	٢٧	يأمرون بالمعروف
٣	مما رزقناهم ينفقون	٢٩	يؤتون الزكاة
٤	يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك	٣٠	يطيعون الله ورسوله
٥	بـ لآخرة هم يوقنون	٣١	يقاتلون في سبيل الله
٦	صابرين	٣٢	تائبـــــون
٧	صادقين	٣٣	عابـــدون
٨	قـنتين	٣٤	حامـــدون
٩	مستغفرين بالأسحار	٣٥	سائحون - راكعون - ساجدون
١٠	ينفقون في السراء والضراء	٣٦	حافظون لحدود الله
١١	كـظمين الغيظ	٣٧	يوفون بعهد الله و لاينقضون الميثاق
١٢	عـفين من الناس	٣٨	يصلون ما أمر بالله به أن يوصل
١٣	إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله	٣٩	يخشـــون ربهـــم
١٤	يستغفرون لذنوبهم و لا يصرون على ما فعلوا	٤٠	يخافون سوء الحساب
١٥	لا يهنون لما يصيبهم في سبيل الله ولا يضعفون	٤١	يدرءون بالحسنة السيئة
١٦	لا يستكينون	٤٢	تطمئن قلوبهم بذكر الله
١٧	يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم	٤٣	في صلاتهم خاشعون
١٨	يتفكرون في خلق السموات والأرض	٤٤	لفروجهم حافظون
١٩	يحبهم الله ويحبونه	٤٥	لأماناتهم وعهدهم راعون
٢٠	أذلة على المؤمنين	٤٦	على صلواتهم يحافظون
٢١	أعزة على الكافرين	٤٧	من خشية ربهم مشفقون
٢٢	لا يلبسون إيمانهم بظلم	٤٨	بآيات ربهم يؤمنون
٢٣	إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم	٤٩	بربهم لا يشركون
٢٤	إذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا	٥٠	يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : أنهم إلى ربهم راجعون
٢٥	على ربهم يتوكلون		
٢٦	بعضهم أولياء بعض	٥١	يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون

٥٢	رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله	٧٥	يستجيبون لأمر ربهم
٥٣	يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار	٧٦	أمرهم شورىٰ بينهم
		٧٧	إذا أصابهم البغي هم ينتصرون
٥٤	يمشون علىٰ الأرض هونا	٧٨	يتبعون الحق من ربهم
٥٥	إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما	٧٩	أشداء علىٰ الكفار
٥٦	يبيتون لربهم سجدا وقياما	٨٠	رحماء بينهم
٥٧	يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما	٨١	يبتغون فضلا من الله ورضوانا
٥٨	إذا أنفقوا لم يسرفوا	٨٢	سيماهم في وجوههم من أثر السجود
٥٩	و لم يقتروا (يضيقوا)	٨٣	حبب الله الإيمان و زينه في قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان
٦٠	لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق	٨٤	المؤمنون إخـــوة
٦١	لا يزنـــون	٨٥	يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
٦٢	لا يشهدون الزور	٨٦	آخذين ما آتاهم ربهم
٦٣	إذا مروا باللغو مروا كراما	٨٧	قليلا من الليل ما يهجعون
٦٤	إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا	٨٨	لا يوادون من حاد الله و رسوله
٦٥	يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما	٨٩	كتب في قلوبهم الإيمان
٦٦	إذا ذُكروا بآيات ربهم خروا سجدا	٩٠	يؤيدهم الله بروح منه
٦٧	يسبحون بحمد ربهم	٩١	أنصار الله
٦٨	لا يستكبرون	٩٢	علىٰ صلاتهم دائمون
٦٩	تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع	٩٣	يصدقون بيوم الدين
٧٠	يدعون ربهم خوفا وطمعا	٩٤	من عذاب ربهم مشفقون
٧١	يسمعون القول فيتبعون أحسنه	٩٥	بشهاداتهم قائمون
٧٢	شرح الله صدورهم للاسلام فهم علىٰ نور من ربهم	٩٦	يتواصون بالصبر
٧٣	يجتنبون كبائر الإثم والفواحش	٩٧	يتواصون بالمرحمة
٧٤	إذا ما غضبوا يغفرون	٩٨	يتواصون بالحق

نبذة عن حياة المؤلف

١٨٩٧ : ولد في ساحل سليم ، محافظة أسيوط الخميس ١ جمادى الثاني الموافق ٢٨ أكتوبر .

١٩٢٠ : حصل على ليسانس حقوق ، جامعة فؤاد الأول، القاهرة .

١٩٢٤ : عُين نائبًا عامًا بوزارة العدل .

١٩٢٥- ١٩٢٧ : ملحق المفوضية الملكية المصرية في روما وبراج .

١٩٢٧- ١٩٢٧ : سكرتيرًا خاصًا ورئيس مكتب رئيس الوزراء محمد باشا محمود ، وشارك في مفاوضات محمد باشا محمود/ هندرسون لإبرام المعاهدة المصرية البريطانية في لندن .

١٩٢٩ : ماجستير في العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة كامبردج بإنجلترا .

١٩٣٠-١٩٣١ : مدير مكتب العلاقات التجارية بوزارة الصناعة والتجارة .

١٩٣٢-١٩٣٤ : زاول الأعمال الحرة وأسس الجمعية التعاونية للبترول وكان رئيسًا لمجلس إدارتها حتى سنة ١٩٥٣م ، وأسس ملجأين على نفقته الخاصة لليتامى .

١٩٣٤-١٩٣٦ : مديرًا لشؤون الميزانية بوزارة المالية .

١٩٣٦- ١٩٣٨ : قائمًا بأعمال المفوضية الملكية المصرية في بولندا .

١٩٣٩-١٩٤٢ : وزيرًا مفوضًا ومدير عام الشؤون السياسية والاقتصادية بوزارة الخارجية .

١٩٤٢-١٩٤٤ : وزيرًا مفوضًا في تركيا .

١٩٤٤- ١٩٤٦ : أسس العلاقات السياسية مع روسيا وكان أول وزير مفوض فيها .

١٩٤٦-١٩٤٨ : وكيل وزارة الخارجية بدرجة سفير .

١٩٤٨-١٩٥٣ : سفير مصر لدىٰ الولايات المتحدة وأسس المركز الإسلامي في واشنطن وكان له أثر في جمع التبرعات من الدول الإسلامية لبناء مسجد واشنطن ، بجانب أعماله عُين مندوبا لمصر لإبرام معاهدة السلام مع الحكومة اليابانية في سان فرانسيسكو عام ١٩٥١، وكذلك عُين مندوبًا لمصر لدىٰ هيئة الأمم المتحدة أثناء الدورة الخامسة، وكذلك عُين ممثل مصر لدىٰ منظمة الطيران المدني الدولي وانتُخب رئيسًا مدة انعقاد الدورة .

حصل علىٰ دكتوراه فخرية من جامعة رولنز بولاية فلوريدا .

١٩٥٤- ١٩٦٤ : سفيرًا وممثلًا لجامعة الدول العربية في هيئة الأمم وأسس مكاتب الجامعة العربية في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وعُين مندوبًا لليمن لدىٰ هيئة الأمم .

١٩٦٦ : انتقل إلىٰ رحمة الله يوم الخميس ١٣ شوال ١٣٨٥هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٦٦.

* للمزيد من المعلومات يمكن مراجعة الموقعتان الآتيتين:

Google: Kamil Abdul Rahim

Wikipedia.org/wiki/Kamil_Abdul_Rahim

الفهـــــرس

الموضـــــوع **الصفحة**

«مستهل» ٧

تعريف ووفاء ٩

الباب الأول : الإيمان والفرائض

االفصل الأول: الله جل جلاله ١١

١ـ الإيمان عند المسلمين ١١

١ـ أسماء الله الحسنىٰ في القرآن الكريم..... ١٤

النصوص القرآنية ١٤

٢ ـ أسماء الله الحسنىٰ في الحديث الشريف ٢٣

٣ـ التفكير في آيات الله..... ٢٥

أ ـ فتأمل في خلق الإنسان ٢٧

ب ـ وتأمل في خلق الحشرات والدواب ٢٧

جـ ـ ثم تأمل في خلق السماوات والأرض والنبات ٢٨

د ـ القسم بآيـــات الله ٢٩

هـ ـ الاستشهاد بآيات الله ٣٠

ك ـ كيف هدىٰ الله سيدنا إبراهيم للإيمان به ولوحدانيته ؟ ٣١

الفصل الثاني: سيدنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ٣٢

مقدمة موجزة عن حياته الكريمة ٣٢

الموضـــــوع الصفحة

بنو قينقاع ٣٨
بنو النضير ٣٩
بنو قريظة ٣٩
١ـ رسالته عليه الصلاة والسلام ٤٦
النصوص القرآنية ٤٦
٢ـ آيات الإرشاد والتوجيه ٤٧
٣ـ آيات التبشير ٥١
٤ ـ خلقه عليه الصلاة والسلام ٥٣
٥ ـ هيئته عليه الصلاة والسلام ٥٦
٦ـ كلامه عليه الصلاة والسلام ٥٦
الفصل الثالث: القرآن الكريم ٦٣
مقدمة ٦٣
الفصل الرابع السنة ٦٨
السنة في النصوص القرآنية ٦٩
السنة في الحديث النبوي ٧٠
الفصل الخامس الفرائض ٧١
١ـ الصلاة ٧١
مقدمة ٧١
الصلاة في النصوص القرآنية ٧٣
الصلاة في الحديث النبوي ٧٤
٢ـ الزكاة ٧٥

الموضـــــوع	الصفحة

مقدمة ٧٥
الزكاة في النصوص القرآنية ٧٦
الزكة في الحديث النبوي ٧٧
٣ـ الصوم ٧٨
مقدمة ٧٨
الصوم في النصوص القرآنية ٧٩
الصوم في الحديث النبوي ٧٩
٤ ـ الحج ٨٠
مقدمة ٨٠
الحج في النصوص القرآنية ٨٠
الحج في الحديث النبوي ٨٢

الباب الثاني: أهم ما يواجه الناس من مشاكل الحياة

١ـ الابتلاء: (انظر أيضًا الصبر) ٨٣
٢ـ الإسراف ٨٦
٣ـ البخل ٨٧
٤ ـ التقوى ٩٠
٥ ـ التجسس ٩٢
٦ـ التوبة ٩٣
٧ـ التوكل على الله ٩٦
٨ ـ الدعوة للحق ٩٧
٩ـ خمر وميسر ١٠٠
١٠ ـ دعاء «شكوى» ١٠١

الموضـــــوع	الصفحة

١١ـ الدنيا ١٠٤
١٢ـ ذكر الله ١٠٧
١٣ـ رحمة الله ١٠٩
١٤ـ الرزق ١١١
١٥ـ الزنا «الفاحشة» ١١٣
١٦ـ الزواج ١١٥
١٧ـ الشكر ١١٧
١٨ـ الشهادة ١١٩
١٩ـ الشيطان ١٢٠
٢٠ـ الصبر ١٢٣
٢١ـ الصمت ١٢٦
٢٢ـ الظلم ١٢٧
٢٣ـ العدل ١٢٩
٢٤ـ العفو ١٣٣
٢٥ـ العمل ١٣٥
٢٦ـ العهد ١٣٨
٢٧ـ الغضب ١٣٩
٢٨ـ القربى ١٤١
٢٩ـ الكبر ١٤٥
٣٠ـ الموت ١٤٦
٣١ـ الهجرة ١٤٨

الموضـــــوع	الصفحة

٣٢ـ برُّ الوالدين ١٥٠
٣٣ـ اليتيـــم ١٥١

الباب الثالث : الصفـــات

الفصل الأول: صفات الفطرة..... ١٥٣
الفصل الثاني: صفات الغافلين..... ١٥٥
الفصل الثالث: صفات المنافقين ١٦٠
الفصل الرابع: صفات الكافرين ١٦٤
الفصل الخامس: صفات المؤمنين ١٦٩
١ـ النصوص القرآنية لصفات المؤمنين ١٦٩
٢ـ صفات المؤمنين موزعة على أربعة أبواب رئيسية : ١٧٣
أ ـ الصفات المتعلقة بالإيمان ١٧٤
ب ـ الصفات المتعلقة بالصلاة والعبادات ١٧٤
ج ـ الصفات المتعلقة بالجهاد والمال والنفس ١٧٤
د ـ الصفات المتعلقة بآداب السلوك والمعاملات ١٧٥
٣ـ ما ورد في الحديث عن صفات المؤمنين ١٧٥
٤ ـ جـــــزاء المؤمـنين ١٧٨
فهـــرس أسماء الله الحسنى..... ١٨١
فـــهرس صفات المؤمنين ١٨٢
نبذة عن حيـــاة المؤلف ١٨٤
الفهـــــــرس..... ١٨٦

رقم الايـــداع ٢٠٠٣ / ٩٧٠٧
الترقيم الدولي - - - .I.S.B.N